ليفيناس وأزمة العلاقة بين السياسة والأخلاق المشكلة والحل في ضوء المفهوم الحضاري

اعداد

د/سهام رسلى عبدالباسط عسران

مدرس فلسفة التاريخ والحضارة بكلية الآداب جنوب الوادى بقنا

sehamrasly@gmail.com

ملخص البحث :

تعد فلسفة ليفيناس التواصلية هي القادرة على ترسيخ رؤيته السياسية وعلاقتها بالأخلاقي والعقائدي إنها فلسفة الحوار مع الآخر .

لا شك في وجود ديالكتيك قائم بين السياسة والأخلاق وهذا ما سيقوم هذا البحث بمحاولة توضيحه وتسليط الضوء عليه وذلك من منطلق الانفتاح, أي الانفتاح السياسي على المجال الأخلاقي وذلك كله في ضوء رؤية حضارية ليفيناسية تجمع بين التسامح والمعرفة والديالكتيك والأخلاق.

لا شك أن ليفيناس قد أتى بالعديد من الأفكار التي تؤكد وجهة نظره وخاصة بعد أن دعمها بالأمثلة والنماذج. ويقوم هذا البحث على عدة محاور منها – ليفيناس حياته والمؤثرات على فكره- النسق الأخلاقي والسياسي عنده – تحديد العلاقة بين البشر في ضوء العقيدة الدينية – حل المشكلة من منظور ليفيناس. وقد توصلت الباحثة إلى نتائج هامة ومثمرة في مجال هذه الدراسة ومنها على سبيل المثال : نتائج عن ليفيناس نفسه من حيث أنه وجودي فينومينولوجي حدسي وهو شخصية تاريخية تعشق التاريخ وله اهتماماته بكل مجالات الحياة – الأنا وعلاقتها بالآخر في إطارها الأخلاقي – ليفيناس بين الأخلاق والسياسة والحرب- ليفيناس بين المزايا والعيوب وغيرها من النتائج.

الكلمات الافتتاحية : فلسفة الواجب, النسق الأخلاقي, الضمير, التعددية الثقافية, الأخلاقي والعقائدي

مقـــدمـــة :

كان وما زال إيمانويل ليفيناس Emmanuel levinas (1906-1995م) مثار جدل دائم وخاصة في كتاباته السياسية، ذلك يرجع من وجهة نظرنا إلى الأبعاد التأويلية الكثيرة والبعيدة المدى التي حفلت بها نصوصه السياسية، والتي تحمل وجوهًا متعددة ونظرات متشعبة في المداخل والمخارج.

ربما كانت فلسفته التواصلية العميقة بين الأنا والآخر هي المعين الذي لا ينضب في ترسيخ رؤيته السياسية وعلاقتها بالأخلاقي ethical والعقائدي ideological, إنها فلسفة الحوار مع الآخر، فهل هناك ثمة ديالكتيك قائم بين السياسة politics والأخلاق ethics؟ إنه سؤال ديمومي قديم وحديث ومعاصر، ولكن يبقي التناول الليفيناسي ذا طابع خاص وفريد متمايز وعميق، وهل مصطلح الانفتاح openness يعني الانفتاح السياسي على المجال الأخلاقي كما لو كان الانفتاح مع الآخر يعني تواصلية السياسي مع الأخلاقي في ضوء الرؤية الحضارية المتميزة بالتسامح مع الآخر؟ إنه سؤال تجيب عنه هذه الدراسة، وسؤال آخر ما هو معيار الانفتاح السياسي مع الآخر الخلقي؟

وهل الأنانية والأثرة Egonism في البعد السياسي يجعلاه ينأى بنفسه عن الأيقونة الأخلاقية؟ أو بمعني أدق هل البرجماتية السياسية تحول دون تدخل القيم الأخلاقية، حتى لا تفسد السياسة توجهاتها وقوة انتشارها بعيدًا عن معاني معرقلة لا قيمة لها أي المعاني الأخلاقية والمثل العليا؟

وسؤال آخر ما قيمة السكن Dwelling الذي هو الوطن في هذه المنظومة؟ وهل السكن هو طاقة منفتحة على القيم الأخلاقية أم أن ليفيناس يعشق اللاتماثل في كل شيء حتى في السياسة وعلاقتها بالأخلاق ؟ وما هو الوجه الحضاري للرؤية السياسية والأخلاقية عند ليفيناس؟

وللإجابة عما سبق يأتي هذا البحث متناولًا المشكلة وحلها على النحو الآتي:

أولًا: إنها المعاناة في كيفية التواصل بين السياسي والأخلاقي، أنها المشكلة والتشخيص.

وثانيا: كيفية التوصل إلى حل لإثبات العلاقة بينهما (إنه العلاج).

ولذلك تناول هذا البحث عدة محاور هي :

أولًا: ليفيناس حياته والمؤثرات على فكره .

ثانيًا: النسق الأخلاقي والسياسي عند ليفيناس.

أ-النسق الأخلاقي عند ليفيناس.

ب- النسق السياسي عند ليفيناس.

ثالثًا: تحديد العلاقة بين البشر في ضوء العقيدة الدينية.

رابعًا: المواقف النقدية من ليفيناس وكتاباته.

خامسًا: حل المشكلة من منظور ليفيناس.

سادسًا: نتائج البحث .

أولًا : ليفيناس حياته والمؤثرات على فكره

حياته:

يعد الفيلسوف الفرنسي من أصل لتواني إيمانويل ليفيناس واحدًا من أبرز فلاسفة الغرب المعاصرين الذين كرسوا أعمالهم حول مفاهيم إشكالية معاصرة، لعل أبرزها المجادلات المديدة في مفهوم الأنا والآخر أو الذاتية والغيرية، ونستطيع القول أن هذا الفيلسوف نال من الاهتمام لدى الانتلجنسيا [*]

---

[*] **الانتلجنسيا (intelligentsia) : الفئة المثقفة وتتألف من أناس يمارسون نشاطًا فكريًا بحكم مهنهم, ومنهم رجال العلم والفن والمهندسون والتكتيكيون والأطباء والمحامون والمعلمون, والجزء الأكبر من الموظفين. إن الانتلجنسيا ليست طبقة منفصلة ذلك أنها لا تشغل مكانًا مستقلًا في نظام الإنتاج الاجتماعي. وفي المجتمع الاستغلالي تتشكل الانتلجنسيا وتنمو صفوفها, بالأساس في أوساط الفئات الغنية.**

انظر : عبدالوهاب الكيالي: موسوعة السياسة (المجلد الأول), المؤسسة العربية للدراسات والنشر, بيروت, ص 34

عمومًا والوسط الأكاديمي خصوصًا في أوروبا وأمريكا فضلًا عن العالم الإسلامي ما لم يكن متوقعًا، لاسيما بالنسبة إلى حساسية الفكرة التي قدمها لتكون محورًا لنقد الذات الحضارية الغربية.[1]

وُلد إيمانويل ليفيناس في كوفنو بلتوانيا عام (1905) وتلقى ليفيناس تربية يهودية تقليدية، عانى ليفيناس وأسرته -شأنه شأن بقية اليهود خلال الفترة النازية- من الاضطهاد والقتل والرّعب مما أدى إلى هجرته مع أسرته إلى أوكرانيا. هاجر بعدها إلى فرنسا واستقر في ستراسبورغ عام (1923).[2] ولد في عصر الإمبراطوريات وكان مديرًا لمدرسة متواضعة لتدريب المعلمين وأستاذًا جامعيًا مشهورًا بدأ حياته المهنية في وقت متأخر جدًا [3]، حيث واصل دراسة الفلسفة خاصة فلسفة هوسرل التي خصّها بأطروحة جامعية . وله الفضل الكبير في نقل أعمال هيدجر وهوسرل إلى اللغة الفرنسية تميّزت كتاباته باهتمام ملحوظ بمبحث الإتيقا والغيرية الذي خطا به خطوات مهمة من خلال مؤلفات محورية.[4]

وقد توفي ليفيناس في فرنسا عام (1995م)، تعرّف ليفيناس على الأسئلة الميتافيزيقية الكبرى عبر قراءته للأدب الروسي، كان يافعًا عندما جرت أحداث قضية درايفوس[*]، مثلت هذه القضية

---

[1] علي قصير : إيمانويل ليفيناس فيلسوف الغيرية البناءة, مجلة الاستغراب, المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية, بيروت, العدد العاشر, السنة الرابعة, 2018, ص 286

[2] محمد بكاي: أخلاقيات التعامل مع الآخر تأملات في الفلسفة الغيرية عند إيمانويل ليفيناس, مجلة تفاهم , ص 279

[3] Sean Hand: Emmanuel Levinas , Routledge Taylor& Francis Group,london, 2009,p.1

[4] Claire Katz with Lara Trout: Emmanuel Levinas critical Assesments of leading philosophers, volume1, Routiedge TAYLOR & Francis Group, London,2005,p. 1

[*] قضية دريفوس: قضية قانونية- سياسية تجسسية فرنسية بدأت سنة 1894, حينما كشفت عن برنامج أرسل إلى شفارتز كوبن الملحق العسكري الألماني بباريس ومعه قائمة بالوثاق السرية الفرنسية التي وعد كاتب البرنامج بتقديمها وأدانت المحكمة العسكرية الكابتن اليهودي دريفوس (1859- 1935) بتهمة الخيانة, واستندت في ذلك على أدلة ضعيفة, أهمها الشبه بين خط الرسالة وخط دريفوس. وقد أنكر دريفوس التهمة, ورغم ذلك فقد حكم عليه بالتجريد من رتبته, والسجن مدى الحياة بجزيرة الشيطان (1894) الأمر الذي أثار موجة معادلة قوية لليهود في فرنسا. وفي سنة 1896, أعيد النظر في القضية بعد أن كشف الكولونيل جورج بيكار أدلة تثبت أن الماجور فرديناند

بالنسبة إليه نموذجًا قويًا للأخلاق المنتصرة على السياسة. ذهب إلى ستراسبورغ عام (1923م). اكتشف أولًا فلسفة برغسون، وتأثره بفلسفة هيدغر. جمعته مع **موريس بلانشو**(*) صداقة مميزة.[1] أعجب بلغته الأنيقة، وحساسيته وفكره ذي الذوق الرفيع، وبراهنيّه وكتاباته ورفضه للسهولة. قرأ بفضله بروست وفاليري . دامت هذه الصداقة اربعين عامًا . قرأ الأبحاث المنطقية لهوسرل التي فتحت له "أفقا فكرية جديدة" وفق تعبيره . من شدة إعجابه بهذه الفلسفة، ذهب عام (1928م) إلى فرايبورغ ليتابع محاضرات هوسرل بنفسه خلال عام كامل. توقف هوسرل شتاء 1929 عن محاضراته مكرّسا وقته لتنظيم مؤلفاته، فحلّ محله مارتن هيدغر، وكانت فرصة ليلتقي به ليفيناس الذي كان قد قرأ الكينونة والزمان بالألمانية . كان يحضر أيضًا في الأمسيات الفلسفية التي كان ينظمها غابرييل مارسيل كل يوم سبت، شجعه هيدجر وموريس بلوندل على المشاركة في لقاءات دافوس الفلسفية المنتظمة التي جمعته مع الفرنسيين ليون برنشفيك وموريس كونديلاك والألماني إرنست كاسيرر. [2]

ظهر ليفيناس في هذه اللقاءات مدافعًا عن هوسرل وهيدغر، ونشر حينها مقالته الأولى عن هوسرل قدّم أطروحة الدكتوراة عام 1930 تحت عنوان نظرية الحدس في فينومينولوجيا هوسرل

استرهازي هو كاتب الرسالة, ولكن السلطات الفرنسية أسكتته فكشف مايتو شقيق دريفوس الأدلة نفسها وطالب بإعادة المحاكمة وأصبحت القضية مثار نزاع سياسي قسم فرنسا إلى فريقين ظلا على عداء عنيف عشر سنوات. وكان الملكيون والعسكريون والكاثوليك يرون إدانة دريفوس بينما أيد براءته الجمهوريون والاشتراكيون والمعادون لرجال الدين.

انظر : عبدالوهاب الكيالي : موسوعة السياسة. (المجلد الثاني), المؤسسة العربية, بيروت, ص 677

(*) موريس بلانشو: (1907- 2003) كاتب فرنسي متعدد المشارب, كتب النقد الأدبي والرواية برؤية مختلفة, ولم يكن نصيب الإبداع في أعماله أقل حظًا من الدراسات المتنوعة, فانشغل الفلاسفة والمؤرخون والسياسيون واللاهوتيون ونقاد الأدب بكتاباته, وأكدوا مدى تأثيرها وغموض أسلوبها " الفعال" في أعمال أدبية وفكرية عديدة, بشكل مباشر أو غير مباشر , وقد استفاد من تصوراته كل من جاك ديريدا وجيل دولوز وجون لوك, وعدلوا بعضها بما يتناسب مع مشاريعهم النظرية. انظر: موريس بلانشو : كتابة الفاجعة, ترجمة: عز الدين الشنتوف, دار توبقال للنشر, ط1, المغرب, 2018,ص 182

[1] Claire Katz with Lara Trout: Emmanuel Levinas critical Assesments of) leading philosophers, opcit, p.1

[2] إيمانويل ليفيناس : الزمان والآخر, ترجمة: د. جلال بدلة, معابر للنشر والتوزيع, الطبعة الأولى, دمشق, 2014, ص 5

ونالت إعجاب برنشفيك . حضر في السوربون دروس برنشفيك، "بابا الفلسفة في فرنسا" - كما يقول ليفيناس، وترجم في هذا الوقت كتاب هوسرل التأملات الديكارتية. وكانت انتقاداته لهوسرل مستوحاة من تعامله مع هيدجر وقد جاء لينتقد معلمه السابق من منظور تاريخي(*) بسبب الإفراط في التنظير والتأمل والتغاضي عن الكثافة الوجودية والاندماج التاريخي للتجربة الحية. (1)

كانت أطروحة دكتوراة ليفيناس حول فلسفة هوسرل. نظرية الحدس في فينومينولوجيا هوسرل، أول أعماله المنشورة بعد أن أمضى ليفيناس العام الدراسي 1927- 1928 في فرايبورغ يدرس مع هوسرل وهيدجر، تم تقديم الأطروحة في عام 1929م ونشرت في باريس عام 1930م .(2) فوجئ عام 1933م بإعجاب هيدجر بهتلر. وفوجئ أيضا بالطريقة التي تناول بها بلانشو اليهود في الصحافة الفرنسية متأثرًا بفكرة قومية معينة عن فرنسا . لم ينشر خلال هذه المرحلة إلا نصّا فلسفيًا واحدًا (عن الهروب 1935م) كتب مقالات عديدة في المجلات اليهودية، موضوعها الحالة – الجديدة التي خلقتها الهترلية واعتبرها "المحنة الأكبر التي عانتها اليهودية"، وعندما اندلعت الحرب العالمية الثانية، عمل ليفيناس مترجمًا عن اللغة الروسية. وعندما حاز على الجنسية الفرنسية التحق بالجيش الفرنسي ليتم أسره وإرساله إلى ألمانيا ويقضي خمس سنوات هناك، تكثفت في هذه الأثناء قراءاته، وبدأ بكتابة من الوجود إلى الموجود . تلت عائلته التي بقيت في ليتوانيا، واستطاعت زوجته وابنته اللجوء والهرب إلى قرب أورليان في فرنسا . نصحه جان وول بإنجاز دكتوراة دولة نشرها عام 1961م بعنوان الكلانية واللامتناهي(*)، لتفتح له أبواب الجامعات على مصراعيها وتمنحه الشهرة. درّس عام 1961م في بواتييه، وانتقل بعدها إلى نانتير ليبقى فيها من 1968م حتى

(*) وهنا ترى الباحثة البعد التاريخي بل والعمق التاريخي النقدي عند ليفيناس من منظور فلسفي أولًا وخاصة فيما يتعلق بالتأمل reflection ثم ينسحب هذا البعد التاريخي على دراساته السياسية والأخلاقية ذات الطابع الخاص.

(1) Anna Harriet Block Strhan: Bringing Me More Than I contain: levinas, Ethical Subjectivity and the infinite Demands of Education, Thesis submitted for the degree of phD, Institute of Education, University of London, p.9

(2) Jonban,t.p: Emmanuel levinas early critique of Heidegger, Thesis submitted for the degree of Masters, Institute of Education, University College London,2005, p.1

(*) وقد عُرف بالكلية واللاتناهي

1972م . تابع بحذر الأحداث الطلابية عام 1968، وذلك على العكس من صديقه بلانشو الذي انخرط فيها إلى جهة المحتجين. أصبح أستاذًا في السوربون عام 1973وبقي فيها حتى 1976 تقاعد عن التدريس عام 1979. [1]

قضى ليفيناس بقية الحرب العالمية الثانية أسير حرب في معسكر بالقرب من هانوفر في ألمانيا، حيث مكث خمس سنوات هناك. وقدعين ليفيناس في ثكنة خاصة للسجناء اليهود الذين حرموا من أي شكل من أشكال العبادة الدينية. وكانت الحياة في المخيم صعبة، ولكن وضعه كأسير حرب يحميه من المحرقة. وفي الوقت نفسه، ساعد موريس بلانشو زوجته وابنته على قضاء الحرب في دير، مما يجنبهما المحرقة. بالإضافة إلى ذلك، رأت اللجنة المختصة بسجناء الحرب بقاء ليفيناس على اتصال بأسرته المباشر من خلال الرسائل، ولم يكن الأعضاء الآخرون من عائلة ليفيناس ذوي حظ كبير ، حيث تم ترحيل حماته ولم يسمع بها من جديد، بينما قتُل والده وأخوته في ليتوانيا من قبل النظام النازي، بعد الحرب العالمية الثانية عمل ليفيناس في مدرسة ثانوية يهودية خاصه في باريس، والمعهد الإسرائيلي للتعليم العالي الشرقي بباريس، وأصبح في نهاية المطاف مديرًا له. [2]

1- أهم أعماله:

1) الكلانية واللانهائي 1961.

2) نظرية الحدس في الظواهر الفينومينولوجية لفلسفة هوسرل 1963.

---

[1] إيمانويل ليفيناس: الزمان والآخر , ترجمة: د. جلال بدلة, معابر للنشر والتوزيع, الطبعة الأولى , دمشق, 2014, ص 6,5

[2] علي قصير : إيمانويل ليفيناس فيلسوف الغيرية البناءة , مجلة الاستغراب , مرجع سابق, ص291

3) الحرية
الصعبة، مقال عن اليهودية ، 1963.
4) من خلال
اكتشاف وجود مع هوسرل وهيدجر 1967.
5) أربع
قراءات تلمودية 1968.
6) إنسانية
الإنسان الآخر 1972.
7) غير
الكينونة أو ما وراء الماهية 1974.
8) أسماء علم
1976.
9) حول
موريس بلانشو .1976
10) عن الله الذي يطرأ على فكرنا 1982.
11) الأخلاق
واللامتناهي 1982.
12) التعالي والمعقولية 1984.
13) من
الوجود إلى الموجود 1987.
14) بيننا
1991 . [1]

2- فلسفته:

[1] **المرجع السابق : ص292**

الجدير بالذكر أنَّ فلسفة ليفيناس قوبلت بتجاهل كبير عند كُتاب اللغة العربية، فلم يكتب عنها بالعربية حتى مطلع الألفية الجديدة ، حيث يمكننا القول أن فلسفة ليفيناس تم تجاهلها في المشهد العربي بصورة لافتة للنظر، خاصة عند مقارنتها بفلسفة جان بول سارتر التي لاقت اهتماما فائقًا في العربية علما بأنَّ سارتر نفسه يعترف بفضل ليفيناس عليه بأنه " دخل عالم **ميرلوبونتي**(*) M. murleau-ponty حينما أكد أثناء تكريمه الشهير ل "ميرلوبونتي في سيرة S.DeBeauvoir الفينومينولوجيا بفضل ليفيناس"، كما تحكي سيمون دي بوفوارن سيرها الذاتية أنه في بداية الثلاثينيات وقع سارتر على نسخة من كتاب ليفيناس " نظرية الحدس في فينومينولوجيا هوسرل" – كما يحكي ليفيناس نفسه- بمكتبة بيكار المقابلة لجامعة السوربون، فبعد أن قرأه قال لسيمون دي بفوار "هذه هي الفلسفة التي كنت أرغب في كتابتها"، لكن مع إضافة بعض التعديلات.[1]

تتجه فلسفة ليفيناس اليوم نحو دراسة أكاديمية عميقة في أوروبا من طرف بعض المقربين منه والذين أعجبوا بغرابة موضوع جديد لشخصية موسوعية شهيرة مثل شخصية ليفيناس، وهذه الفلسفة التي تم تهجينها عندنا تقارع مكانتها الفلسفات الراهنة السياسي والديني والجمالي في معترك الفكر الغربي المعاصر لتفتح أفاقًا جديدة في الفكر السياسي والأخلاقي من خلال المقولات التي سلم بها ليفيناس في فلسفته مثل المسؤولية، الشمولية، اللانهاية، الغيرية، المقدس، الوجه، التعالي... وهذه المقولات التي تبدو للوهلة الأولى غريبة ومعقدة وفي الوقت نفسه مفتاحية تجعلنا نتساءل عن معنى المسؤولية وأبعادها السياسية والدينية و علاقتها بالتعالي الديني عند هذا الفيلسوف؟ تمر اليوم ثمانية عشرة سنة على « وفاة ليفيناس الذي قيل عنه الكثير بشان كونه من أكبر فلاسفة اليهود منذ عهد ابن ميمون ومن القلائل الذين أثروا في الفكر المعاصر وفي مفكريه، حيث تدرس فلسفته حاليًا. في جامعة

(*) ميرلوبونتي : فيلسوف فينومينولوجي فرنسي, ولد سنة 1908 في روشفور على البحر ودخل مدرسة المعلمين العليا, وحصل على الاجريجا سيون سنة 1931وبعدها عين مدرسًا للفلسفة في ليسيه سان كنتان, ثم في جامعة ليون سنة 1945وفي سنة 1949 صار أستاذًا في السوربون وفي سنة 1952عين أستاذًا في الكوليج دي فرانس, خلفًا للوي لافل وتوفي في باريس سنة 1961 وهو في الثالثة والخمسين من عمره. انظر : د. عبدالرحمن بدوي : موسوعة الفلسفة (ج2), المؤسسة العربية للنشر, ط1,بيروت, 1984, ص443

[1] غيضان السيد علي : التجلي المقدس لوجه الآخر في فلسفة ليفيناس, مجلة الآداب والعلوم الإنسانية, المجلد 87, العدد1, مصر, 2018, ص354

التكنولوجيا بكوميبيان فرنسا وفي المدرسة الدولية للفلسفة التي يشرف على إدارتها الباحث والفيلسوف الفرنسي : فرانسوا دافيد سباح .[1]

ولكي يتسنى لنا فهم طبيعة الإشكالية ويسهل علينا تقديمها بالشكل المنطقي البسيط والمنهجي السليم، لا بد أن نقوم بعملية تنقيب تاريخي لأهم المنطلقات الجوهرية والمرجعيات الكبرى التي نهل منها وأطرت فلسفته وخدمت فكره ورصيده المعرفي من شخصيات ، كتابات وتعاليم دينية ... بحيث يشكل عنصر العلاقة مع الآخر عصارة لجملة من التأسيسات التي بنى ليفيناس من خلالها تكوينه الفلسفي، ففي الوقت الذي كان فيه هيجل المفكر الرمز للشمولية و اللانهاية و نقطة النهاية في الفلسفة الغربية، نجد أن ليفيناس قد اهتم بنقد الشمول والتركيب وأرجع كل ما هو معقول إلى شمولية يلم فيها الشعور بالعالم عبر فحص تاريخ الفلسفة وهو ينم عن محاولة تركيب كلية بحيث إن هذا الفحص لا يترك ويستبعد خارجه أي شيء ويصبح على هذا النحو فكرًا مطلقًا، كما تأثر ليفيناس في هذا الإطار بالمفكر اليهودي الكبير **"فرانز روزنويك"**[*] F. Rosensweig 1886- 1929 الذي وجد لديه نفس النقد الشمولي من خلال كتابه هيجل والدولة، حيث تخطى الفلسفة الألمانية ورجع إلى الينابيع اليهودية فقد مضى من فكرة الشمولية المرتبطة بالنظر الإجمالي الفلسفي، شطر نبضة الحياة ذاتها وشطر فحص هذه الوقائع التي لا تنحل إلى سواها، إلى انفجار الشمول عن "روزنويك " وانفتاح درب آخر من البحث عن المعقول وبالتالي يبحث ليفيناس في منوال نمط تجربة قصوى لا تنحل إلى سواها.[2]

استمد ليفيناس فكرته عن تفرد كل "وجود إنساني من فكر هوسرل الذي اكتشف الأنا من خلال التجربة، ويرى أنها تتجاوز كل شيء. وكذلك استمدها من فكر هيدجر الذي عرف الإنسان على أنه الحيوان الوحيد الذي يعلم أنه سيموت ثم انتقده فيما بعد . أصدر 1901 أهم أعماله "الكلية

---

[1] بلعز نور الدين: المسؤولية والتعالي الديني في فلسفة ليفيناس, مجلة النقد الثقافي, العدد الثاني, أكتوبر2014, ص119

[*] فرانز روزنويك : فيلسوف ورجل دين يهودي (1886- 1929) درس الطب والتاريخ والفلسفة قدم في سنة 1912 أطروحة دكتوراة بعنوان "هيجل والدولة", وفي سنة 1917 نشر مخطوطها لهيجل والذي عنوانه " أقدم برنامج للنظام المثالي الألماني" وفي سنة 1921 نشر كتابه "نجمة الإعتاق" .
انظر : حساين دواجي غالي : الهرمينوطيقا وإتيقا التخاطب, رسالة دكتوراة, إشراف: أ.د/ يومدين بوزيد, جامعة وهران, الجزائر, 2012, ص 204

[2] بلعز نور الدين: المسؤولية والتعالي الديني في فلسفة ليفيناس, مرجع سابق, ص119,118

واللامتناهي"، الذي انتقد فيه الاختزال لدى النوع البشري، وهو يعقد مقابلة بين الذات والآخر. وقد رفض أن يرى في الآخر صورة طبق الأصل لنفسه يقول: إن الآخر يبدو من ناحية شيئاً لا يمكن المساس به، لكنه من ناحية أخرى تحت رحمتي تماماً. ومن هنا فإن وجود الآخر في العالم إنما يفسح أمام الفكر فرصة أخلاقية لخلق علاقة مع "اللامتناهي وفي كتابه "حرية صعبة : دراسة حول اليهود" 1901 ذهب في بحثه عن أخلاقيات الزمن الحدي،، إلى أبعد مدى ممكن، وإذا كان قد أبدي توجهاً إزاء بعض المعتقدات العربية التي ترتكز على عمليات الإبادة التي قامت بها النازية، فإنما كان يهدف من وراء هذا إبراز ما تنطوي عليه من حكمة أبدية. وإذا تتبعنا فكر ليفيناس لتبينا أن جميع الموضوعات التي تناولها إنما جاءت فكرتها الأساسية من أهم أعماله "الكلية واللامتناهي".[1] وهنا - وكما ترى الباحثة - بأن ليفيناس يدشن للعلاقة بين الأنا والآخر ويرتكز عليها لخلق العلاقات الاجتماعية حتى مع اللامتناهي.

يعد إمانويل ليفيناس Levinas من أهم معارضي المنظور الأنطولوجي للآخر عند هيدجر وذلك باسم المنظور الأخلاقي في خصوصيته غير القابلة للرد، صورة "للوجه"، أي للمطلق كما في كتابه "الكلية واللامتناهي". إن تأمل ليفيناس متجه صوب الوجود وإن كان من الأصح أن نقول أنه متجه صوب الموجود، لأنه يعترف بامتياز الموجود على الوجود. وبذلك يعكس الترتيب الذي وضعه هيدجر. والموجود يتبدي له أساساً على أنه الوجه Le Visage ، الوجه الإنساني، وما نشعر به من وراء هذا الوجه الإنساني، وما نحس به عند مطالعته، هو اللاوجه الإلهي Le non-Visage divin . يظهر المقدس أو التعالي في أخلاق ليفيناس، ليس باعتباره أساس، بل باعتباره يهب الأخلاق النظرية معناها.[2] وهنا تبدو العلاقة واضحة بين الأخلاقي والديني كما يعكس الرؤية التطبيقية عند ليفيناس من منظور أخلاقي وديني .

وكما عارض ليفيناس في نقده للشمولية المذهب الهيجلي، فقد عارض أنطولوجيا هيدجر، الذي أنكر الميتافيزيقا الغربية وأكد على أولوية الوجود، الذي تم نسيانه في حضارتنا الحديثة . بينما يؤكد ليفيناس مقابل ذلك على العلاقة بالآخر . فالعلاقة مع الآخر أكثر حسماً من العلاقة بالوجود . ليس

---

[1] أحمد عبدالحليم عطية : إيمانويل ليفيناس وفينومينولوجيا, مجلة كرسي اليونسكو للفلسفة, العدد 33, 2012, ص 193

[2] المرجع السابق : ص 194

الوجود أو الأنطولوجيا هي المسألة الأساسية، بل الأخلاق النظرية، العلاقة بالأفراد. لقد استعاض ليفيناس بأولوية الأخلاق النظرية عن المذهب وعن التجريد . علاقة "الوجه- وجه" علاقة اللقاء بالآخر . فأنا حين أدرك مسؤوليتي أمام الوجه تنبثق الأخلاق النظرية أمام وجه الآخر، عرى علاقة الإنساني. إن اللقاء بالآخر هو الإحساس بالمسؤولية تجاهه.[1]

إن إعادة توجيه إيمانويل ليفيناس للأخلاق باعتبارها الأنطولوجيا السابقة وعرضه الجذري للمسؤولية والعدالة والوعي والمعرفة لهما صلة واضحة بالتعليم لذلك ليس من الغريب أن نشهد في العقد الماضي عددًا من دراسات ليفيناس بواسطة منظرين تربويين ، كذلك يتضح هنا مدى اهتمام ليفيناس بقضايا الأخلاق والعدالة الاجتماعية والتعددية الثقافية .[2]

العنوان الأساس والأبرز لفلسفة ليفيناس هو "الأخلاق كفلسفة أولى"، أي الأخلاق كميتافيزيقا. الفلسفة الأولى أو الميتافيزيقا، وفق انطلاقتها الأولى مع أرسطو، هي المبحث المعرفي في العلل الأولى التي تفسّر معنى الكينونة. بهذا المعنى، يقول ليفيناس إنّ الأخلاق وحدها القادرة على تبيان الدلالة الأولى التي أعطت الكينونة الإنسانية معناها. هي وحدها القادرة على فهم الحدث الأول الذي أسّس لسؤال معنى الكينونة الذي طرحه هيدغر في كتابه الكينونة والزمان. وهي بذلك تتقدم على الأنطولوجيا أي علم الوجود، لأنها تشير إلى فضاءٍ أكثر أصليّة من هذه الأخيرة. الحدث الأول الذي منه تأتي سؤال الحقيقة وصاغ معنى الكينونة وانبثق إمكان السؤال هو اللقاء وجها لوجه مع الآخر الإنساني. على هذا النحو يتشكل التعارض بين الأخلاق والأنطولوجيا فالأخلاق تشير إلى مستوى ميتافيزيقي لا يمكنُ الأنطولوجيا بلوغه، وهو: الآخرية. بالتالي، إنّ أولية الأخلاق تقوم على أوليّة الآخر، وذلك بالتعارض مع الأوليّة التي تمنحها الأنطولوجيا للذات. ليس لهذه الأولية معنى منطقي ، إنها أولية ميتافيزيقية. يقول ليفيناس في الصفحات الأخيرة من كتابه الأساس الكلانية واللامتناهي: الأخلاق "ليست فرعا من الفلسفة، وإنما هي الفلسفة الأولى" فهي وحدها القادرة على تعقب أثر

---

[1] المرجع السابق : ص 195

[2] Thomas f. Newman :A Study OF aiterity and influence in the literary and philosophical neighbourhood of Jean Gent and Emanuel levinas, A thesis submitted for the degree of Doctor of philosophy University College London, 2008, p.2

"الدلالة من دون سياق"[*] للكينونة الإنسانية، وذلك بالتعارض مع الأنطولوجيا التي هي علم الدلالة التي لا تعمل إلا من خلال السياقات، أي، مدلولات ترتبط مع بعضها البعض من دون إمكان كسر السلسلة المكوّنة لها. ولفهم معنى الأخلاق الميتافيزيقية هذا ينبغي نفيه عن معنى الأخلاق التي تسنّ الأوامر القطعية. فهي لا تقول لنا ما يجب فعله في هذه الحالة أو تلك. على العكس من ذلك، تعبّر أخلاق ليفيناس عن ضرورة ترك هذا النوع من القوانين التي تمحي ما في الوجود الإنساني من فردانية واستثناء. يجب التمييز هنا بين الأخلاق بمعنى الإطيقا éthique والأخلاق القطعية moral. تبعا لهذا التمييز، الأخلاق الليفيناسيّة éthique حياديّة أخلاقيا moralement .[1]

إنّ الضابط الأخلاقي الوحيد في فلسفة ليفيناس هو لقاء الأنا مع الآخر، أي، الوجه للوجه. ينتج عن هذا اللقاء، وضعُ تلقائيتي وحريتي موضع تساؤل وشك، وذلك نتيجة لغرائبية الآخر أو عدم إمكان اختزاله إلى الأنا. وبالعودة إلى اقتران كلمة أخلاق بالميتافيزيقا، فإن لهذا الاقتران ما يبرره، وهو أنّ الحقيقة الأولى بالمعنى الدقيق للكلمة هي الحقيقة الإنسانية. وهذه الحقيقة أخذت شكل وصية أو تعليم: "لا تقتل". هذه الوصية أملاها الوجه، وأرست المعنى الأول للإنساني الذي وجد صياغته المثلى مع ظهور الدّين. الدين هو العلاقة التي تنشأ بين الأنا والآخروالتي لا يمكن أن تندرج داخل الكلانية وليفيناس يقيم تعارضا بين السياسة الاسم الآخر للأنطولوجي، والدّين: فالسياسة تنزع نحو الاعتراف المتبادل ونحو المساواة، لتضمن بذلك السعادة، والقانون السياسي هو صراع من أجل الاعتراف، أمّا الدّين فرغبة وليس صراعا. هو الفائض الممكن في مجتمع يقوم بين متساويين. هذه الأوليّة للأخلاق لا يمكن فهمها إلا في سياق دحض الأولية التي أعطاها هيدغر لمشروعه في "الأنطولوجيا الأساسية". كل كلمة كتبها ليفيناس كانت ضد هيدغر، الأمر الذي يمكن قراءته بسهولة منذ الصفحات الأولى من الزمان والآخر، أو حتى من العنوان الذي يمكن اعتباره ردّا على الكينونة والزمان. يتساءل هيدغر في آخر سطور كتابه: "هل ثمة سبيل تقود من الزمان الأصلي إلى معنى الكينونة؟ وهل يتجلى الزمان ذاته بوصفه أفق الكينونة؟"[2]

---

[*] والسؤال هو كيف تكون الأخلاق عند ليفيناس تمثل أثر للدلالة من دون سياق للكينونة الإنسانية إذا كانت الكينونة الإنسانية بسياقها الحياتي هي مرآة الأخلاق وانعكاساتها - كما ترى الباحثة.

[1] إيمانويل ليفيناس: الزمان والآخر, ترجمة: د. جلال بدلة, مرجع سابق, ص 9,8

[2] المرجع السابق : ص 10

كان ينبغي أن يكون هذا السؤال فاتحة لكتاب مكمل الكينونة والزمان، تحت عنوان الزمان والكينونة، يبحث فيه هيدغر مفهوم الزمان كأفق، أو ما وراء الكينونة، وليس معنى يتشكل في صلب الكينونة. هيدغر لم يكتب الجزء الثاني، أو كتبه وأتلفه على ما يقول شرّاحه ومتابعوه، ومن هنا كانت الانعطافة نحو مسألة "تجاوز الميتافيزيقا". [1]

ينبغي فهم الزمان والآخر داخل هذا السياق. وسؤال ليفيناس في أولى سطور هذا الكتاب هو في الحقيقة جواب عن سؤال هيدغر السابق: "هل الزمان تحديد الكينونة المتناهية أم علاقة هذه الكينونة المتناهية مع الله؟" تحاول فلسفة هيدغر إظهار أنّ الزمان ليس إطارًا للوجود الإنساني. فتزمّن الزمان هو حدث فهم الكينونة. الزمان هو الفهم في طور الحدوث. الزمان هو في أساس الفهم، وهو شرط تمفصلات هذا الفهم. أمّا الفهم فهو نمط وجود الإنسان. هو ليحدد ما كينونته. ماهية الإنسان، وإن حضور دائم لهيدغر، وحوار مستمر معه لمغادرة فضاء هذه الفلسفة التي ندين لها "بأسف" .[2]

ومما يؤكد وجاهة وأصالة ليفيناس مرة أخرى البعد الميتافيزيقي في فلسفته الذي يعتبر خلاله الآخر أو بالأحرى وجه الآخر حالة تجل للمطلق الذي هو الخالق " الله " وهو المنطلق الأساس ي في فلسفته حيث يعطي للآخر ككائن له مزاياه المختلفة عن غيره من الموضوعات في العالم ما تجعله يخرج من ذاتيته نحو ذاتية موجودة فيما وراء الكل، لا يمكن للفكر أن يحتويها، فالإنسان على حد تعبير ليفيناس حينما يدخل في علاقة ميتافيزيقية مع الآخر فإنه سيكتشف أن هذا الوجه هو اللامتناهي وهو سر التجلي الإلهي. [3]

يقول ليفيناس. لكن، من دون – الوقوع في فكر يخلط بين الكائن وكينونته، من دون الوقوع في "الميتافيزيقا" كما حددها هيدغر. انتبه ليفيناس إلى الاختلاف الذي يرى أنّ هذا الاختلاف ّ أقامه هيدغر بين الكائن والكينونة، إلى أن يقوم بين فعل الكينونة واسم الكائن. إنّ فكر الكينونة هو فكر فعل الكون، وليحمل الكليّة التي نسبها إليه هيدغر. ليفيناس ليرى نتيجة أخرى ل الكينونة والزمان. يقول في الإطار: "نتكلم عادة عن الكلمة كينونة كما لو أنها اسم، إلا أنها فعل بامتياز. في الفرنسية، يمكننا القول ال كينونة l'être أو كائن un être . مع هيدغر، انبثق من جديد أصل الكلمة كفعل،

---

[1] **المرجع السابق : نفس الصفحة**

[2] **المرجع السابق : ص12,11**

[3] **جيلاني حلوز: إيمانويل ليفيناس : الايتيقا فلسفة أولى, مجلة لوغوس مخبر الفينومينولوجيا وتطبيقاتها العدد 10, جامعة تلمسان, الجزائر, 2020 , ص5 3**

وهو بذاته حدث". بالتالي، إنّ الفلسفة الغربية قامت على أساس هذا النسيان الأصلي لفعليّة هذه الكلمة، أي أنها نتجت عن هذا النسيان. ويكفي مغادرة هذه اللغة لمغادرة مشكلة الكينونة بأسرها. غير أنّ شرط إمكان بلوغ معنى الإنساني هو الهروب خارج الكينونة. في كتابه في الهروب، يقول ليفيناس " إن حاجة الهروب تقودنا إلى صميم الفلسفة، وتسمح لنا بتجديد المشكلة القديمة للكينونة بما هي كينونة". الماهية هي الطريقة التي يكون وفقها الكائن في العالم، وعالقًا في إمكاناته. لكن هذه الطريقة ليست كليّة فهي تحمل علامة الحضارة الغربية. إنّ خصيصة هذه الطريقة في الوجود هي أنّها تمنع كل تعالٍ ممكن. هذا المنع ناتج عن لا تحدد الكينونة. فعلى الرغم من كون الكينونة متناهية، لكنها من دون حدود، لذلك يصفها ليفيناس ب "الشر". إنّ خبرة الموجود بهذا اللا تحدد تدعوه للهروب نحو الخارج، أي، نحو ما وراء الكينونة : نحو الآخر. فالآخر هو الذي يُعطي معنى الكينونة ويحدّه معا. الموجود يعيش هذا الخروج كخلاص نحو الخير. وهنا يلتقي ليفيناس مع أفلاطون الذي جعل من الخير حتى وإن جعل له مثالًا في ما وراء الكينونة. هذا – التحرر تعيشه الأنا كعلاقة مع الآخر الإنساني. [1]

في مقدمة الكلانية واللامتناهي، يرسم ليفيناس لوحة تختزل الصورة القاتمة التي تشكل حاضر وماضي الوجود البشري مفادها أنّ الوجود حرب، فيعارض بين أنطولوجيا الحرب وبين إسكاتولوجيا[*] eschatologie السلام. هذه هي دعوى فلسفة الخروج أو الهروب، أي : "الإمكان الدائم للحرب الذي يعلق الأخلاق. فالحرب ليست مجرد " محنة أخلاقية كما يقول ليفيناس وإنما تجعل من الأخلاق سخيفة. ويعرّف السياسة كفنّ الفوز بالحرب عبر الوسائل كافة. الحرب خبرة محضة بالكينونة المحضة. ووجه الكينونة الذي يتجلى من خلال الحرب يتثبت من خلال مفهوم الكلانية الذي حكم الفلسفة الغربية، حيث يختزل الأفراد إلى حاملي قوة وينهلون معناهم من هذه الكلانية. كما أنّ السلام الحاصل بين القوى الخارجة من الحرب يرتكز على الحرب. فهو لا

---

[1] إ يمانويل ليفيناس: الزمان والآخر , ترجمة: د. جلال بدلة, مرجع سابق, ص ص13,12

[*] إسكاتولوجيا : هو علم الأخرويات أو علم آخر الزمان, هو جزء من اللاهوت يهتم بالأحداث النهائية للتاريخ, أو المصير النهائي للبشرية. يشار إلى هذا المفهوم عادة باسم " نهاية العالم" أو " نهاية الزمان" وظهرت لأول مرة في اللغة الإنجليزية نحو عام 1844, يعرف قاموس أوكسفورد الإنجليزي علم الآخرات على أنه جزء من اللاهوت معني بالموت والمصير النهائي للنفس والجنس البشري.
انظر : ar .m. Wikipedia. Org

يُعيد الهويات الضائعة إلى الموجودات المستلبة. السلام المحض لا يحصل إلا عبر الهروب منُ الوجود من خلال العلاقة مع الآخر، وعبر مفهوم للذاتية يستند إلى خبرة فينومينولوجية يراها ليفيناس مبهرة : أن يكون بإمكان الذات احتواء أكثر مما يمكنها احتواؤه : ذاتية مضّيافة للآخر، ذاتية كضيافة. فما أطلبه من نفسي لايقاس مع ما بوسعي طلبه من الآخر. أنتظر من نفسي أكثر مما أنتظر من الآخر.[1]

هذه الخبرة البسيطة تشير إلى لا تناظر ميتافيزيقي : استحالة أن أتحدث عن نفسي وعن الآخر بالمعنى نفسه، أي استحالة تضمين الأنا والآخر ضمن كلانية واحدة. هذا اللاتناظر الميتافيزيقي يعود إلى علوّ الآخر، وليعني هذا العلو أنّ الآخر يمتلك قدرة تعلو على قدرتي. على العكس، فالآخر هو "اليتيم والأرملة" كما يقول ليفيناس في الزمان – والآخر. علوّه يعني "خارجانيته"، ويعني أنه لا يشكل جزءًا من عالمي. من هذا العلو، ينتج أنه لا يمكن العلاقة بين الأنا والآخر أن تكون معكوسة، لأنه لا يوجد تقابل أو تناظر بين الأنا والآخر. كما لا يمكن أن تكون تضادًا للآخر وإلا شكل الآخر جزءًا من الكل، ولا يمكن أن تكون علاقة تملك أيضًا ولا تحديد : فالأنا لا تمتلك الآخر والآخر لا يحدّ الأنا. كما أنها لا يمكن أن تكون علاقة سلب، فالسالب والمسلوب ينتمون معًا للنظام ذاته ويشكلان الكلانية. العلاقة الوحيدة هي اللاعلاقة، أو، الانفصال. أمّا طرق الاتصال الأخرى جميعها، كالتَّيْمَمَة thématisation والمعرفة والمفهمةّ والفهم والمقابلة والتمثل هذه الطرق كلها أنطولوجية، وستقود إلى اختزال آخرية الآخر. تشكل فكرة الانفصال الحجر الأساس في أخلاق ليفيناس، فالانفصال ضروري لامتلاك فكرة اللامتناهي. إلا أنّ هذا الانفصال ليس أثرًا لهذه الفكرة، وإلا وصلنا إلى توازٍ يُفضي إلى كلانية. إن كانت الكلانية ممتنعة، فهذا لأن اللامتناهي يمتنع عن الدمج. ليس عدم كفاية الأنا ما يعطل إنجاز الكلانية، وإنما لتناهي الآخر. يتصل الكائن المنفصل عن اللامتناهي معه في الميتافيزيقا. يتصل معه بعلاقة لا تلغي فسحة الانفصال. في الميتافيزيقا، يرتبط الكائن مع ما لا يمكن استغراقه ووعيه ويُسمي ليفيناس هذه العلاقة اللاعلاقة.[2]

المؤثرات الفكرية على ليفيناس:

---

[1] **إيمانويل ليفيناس: الزمان والآخر, ترجمة: د. جلال بدلة, مرجع سابق, ص14**

[2] **المرجع السابق : ص ص 15, 16**

نال ليفيناس الإعجاب أحيانًا والنقد أحيانًا أخرى كما أن فلسفته تُعُّد مزيجًا من التيارات الفكرية والدينية المتعددة النواحي وتعدد المصادر التي أخذ منها إيمانويل ليفيناس فلسفته وقصد معرفة أصول فلسفته يطرح السؤال التالي : ما الأصول التي اعتمدها ليفيناس لتأسيس فلسفته؟

1) **الأصل الديني:**

يـعُّد التراث اليهودي الذي نشأ فيه ليفيناس حجر الزاوية في فكره وفلسفته، اعتمد على مشروعه الفكري والفلسفي، حيث قدم قراءات وتفسيرات مختلفة لما ورد في التوراة والتلمود(*). وقد ارتبط ليفيناس بالديانة اليهودية بسبب تشابك بعض القيم بينهما، مثل حب الآخرين وقبول الآخر " حيث يعتبر ليفيناس التوراة هي الكتاب الذي تقال فيه الأشياء الأولى والتي يتوجب قولها حتى تكون الحياة الإنسانية ذات معنى ودلالة " [1] وهنا تظهر قيمة القيم عند ليفيناس في تمازج الأنا والآخر.

أي أن الدين اليهودي كان له تأثير على فكر ليفيناس، وهذا لا يثير الدهشة لأنه نشأ في عائلة أرثوذكسية "فقد أصبح مفكرًا يهوديًا بجدارة من خلال كتاباته لمقالات عديدة ومتنوعة في المجال الديني خصوصًا " ومنه أن للدين اليهودي الصفة الأساسية في مؤلفاته وأعماله المختلفة من نشأته " اليهودية" وهذا يتضح من أنه بدأ طريقة في كوفنو في ليتوانيا"، حيث تتقاطع اللغات والمعرفة داخل طائفة يهودية نسمي تاريخها الاستثنائي التراث التلمودي. كما نجده يقول في هذا الصدد إذا كانت التوراة ناتجة عن النبوة شاهدة له وفي هذا المقام أنا أقر بأن التجربة الأخلاقية مودعة على شكل كتابه وأنا في ذلك على اليقين"، ومن خلال ما اعترف به في كتابه " Ethics and Infinity" نجد علاقة واضحة بينهما، التراث الديني والخبرة الأخلاقية من أجل خدمة الإنسان، باعتبار الآخر مركز التجربة الإنسانية، أيضا، يجب أن تؤخذ تربية ليفيناس في بيئة يهودية بعين

(*) التـلمود : اسم مشتق من كلمة " لوحيد" العبرية التي تعني "التعليم" والتلمود هو أحد المراجع الشفهية الدينية لليهود ويشمل 63 كتابًا تعالج قضايا الدين والشريعة والتأملات الميتافيزيقية والتاريخ والآداب والعلوم الطبيعية. انظر: عبدالوهاب الكيالي : موسوعة السياسة (المجلد الأول), مرجع سابق, ص 784

[1] جان فرانسيس دفريني : فلسفات عصرنا (تياراتها ومذاهبها), ترجمة: إبراهيم الصحراوي, دار العربية للعلوم, الطبعة الأولى, بيروت, لبنان, 2009, ص 269

الاعتبار لأن جمهورية ليتوانيا كانت مركزًا للدراسات التلمودية التي أثرت في معظم أعماله، خصوصًا عندما كان مديرًا للمدرسة الشرقية الإسرائيلية التي كان يلقي فيها محاضراته التلمودية. وفي كتابه De libliteration نجده يتجاوز البعد الديني مواجها الذاتية الطاغية وقد جعل من الدين الصورة الإيتيقية التي تساهم في مواجهة وغطرسة الذاتية المختزلة للآخر.[1] وهنا نجده يدعم وجود الآخر بمعية وملاصقة دينية.

2) هوسرل وليفيناس:

ومثل شراحه يخبرنا ليفيناس بدينه الكبير لهوسرل كما يتضح في قوله : أن هوسرل هو مصدر كتاباتي. أنا مدين له بمفهوم القصدية الذي ينعش الوعي، وخصوصاً بمفهوم آفاق المعني، التي تحتجب عندما ينغمس الفكر في المفكر فيه الذي يحمل على الدوام، دلالة الوجود. آفاق المعني التي يجدها التحليل المسمى قصدياً، عندما ينكب على الفكر الذي ينسي التأمل، ويعمل على إحياء آفاق الوجود والموجود هاته من جديد. وقبل كل شيء فأنا مدين لهوسرل- وأيضاً لهايدجر- بمبادئ هذه التحليلات وبالأمثلة والنماذج التي علمتني كيف أجد هذه الآفاق وكيف أعبر عنها. وهنا تبدو المساهمة الأساسية للفينومينولوجيا والتي ينضاف إليها المبدأ الكبير الذي يرجع إليه كل شيء وهو : أن المفكر فيه – كموضوع أو تيمة أو معني –يستدعي الفكر الذي يفكر فيه، لكنه يحدد أيضاً التمفصل الذاتي لظهوره، فالوجود يحدد ظواهره.[2]

ويؤكد ليفيناس أن كل هذه المعطيات ترسخ نمطاً جديداً للعينية. وبالنسبة للفينومينولوجيا، فإن هذه العينية تشمل وتدعم التجريدات الساذجة للوعي اليومي، وكذلك للوعى العلمي المنشغل والمتورط في الموضوع. ومع ذلك يبدو لدى هوسرل أثناء تحليله الفينومينولوجي لعينية الروح هذه - وبتوافق مع تقليد غربي محترم- امتياز لما هو تنظيري، أي امتياز للتصور وللمعرفة، وبالتالي

---

[1] ليندة علي شريف, وهيبة حاكمي : مفهوم الغيرية في الفكر الغربي إيمانويل ليفيناس – نموذجا- , رسالة ماجستير, إشراف د. حاجة بن ناصر, جامعة ابن خلدون تيارت, الجزائر, 2022, ص 22,21

[2] أحمد عبدالحليم عطية : إيمانويل ليفيناس وفينومينولوجيا, العدد 33, كرسي اليونسكو للفلسفة, 2012, ص 200

للمعني الأنطولوجي للوجود.[1] ويبدو لنا هنا اهتمام ليفيناس بهوسرل الفينومينولوجي إنما هو اهتمام بالوصف الظاهري وبالوجه بصفة خاصة.

3) هيدجر وليفيناس:

وحين ننتقل إلى المنطقة الغامضة و الملتبسة والمحيرة أي إلى علاقة ليفيناس مع هيدجر، الذي درس عليه وتأثر به والذي يظهر أثره ليس في كل كتاب بل ربما في كل صفحة من الصفحات التي كتبها ليفيناس، تحية يقول ورداً على سؤال ريتشارد كيرنى هل تتفقون مع النقد الهايدجري للميتافيزيقا الغربية كفلسفة للحضور؟

يجيب: لا أعتقد بأن قول هيدجر كان متماسكاً بشكل تام بخصوص هذه المسألة، فهو بالنسبة لي، لم يتحرر في الحقيقة أبداً من اللغة اليونانية، لغة المعقولية والحضور، ومع أنه أمضي جزءًا لا يستهان به من ممارسته الفلسفية في الصراع ضد بعض المفاهيم الميتافيزيقية للحضور – وخصوصاً المفهوم الذي يضعه الحضور باعتباره vorhandheit والذي يتجلى في تصنيفه العلمي والتكنولوجي للعالم – فإنه يبدو في الأخير معانقاً لمفهوم آخر للحضور، أدق وأعتقد وهو مفهوم anwesen أي الحضور القريب من الوجود.[2]

وبالرغم من كون هيدجر أعلن عن نهاية ميتافيزيقا الحضور، إلا أنه فيما كتب ليفيناس استمر في التفكير في الوجود كحضور قريب من الإنسان، ويبدو أنه غير قادر على التخلص من هيمنة الحضور التي يندد بها. ويظهر هذا اللبس أيضاً عندما يؤول هيدجر وجودنا بالعالم كتاريخ. إنه المهمة النهائية الأكثر Holen Wieder وتجميع ما كان مشتتاً على مدى الزمن، في الماضي والحاضر والمستقبل. إن الوجود هنا هو المعري عن تاريخ هذه العملية وذلك بالقدر، الذي يستطيع فيه تأويل وسرد وجوده كتاريخ نهائي ومعاصر، كحضور مشترك وشمولي للماضي والحاضر

---

[1] المرجع السابق : ص200

[2] المرجع السابق : ص201

والمستقبل.[1] وهنا يظهر لنا غوص ليفيناس في العمق التاريخي والحضاري للحضور وانتقاده لهيدجر فيه.

الاختلاف الأساسي بين تحليل ليفيناس الأخلاقي للموت والتحليل الأنطولوجي لهايدجر. هو أن هيدجر يعتبر الموت هو موتي، بينما يرى ليفيناس أن الموت هو موت الآخر. ففي "رسالة حول النزعة الإنسانية" عرف هايدجر " الوجود هنا "الدزاين" بطريقة داروينية تقريباً باعتباره " وجود يهتم بوجوده الخاص" وفي المقطع التاسع من مؤلف "الوجود والزمن" عرف الخاصية الرئيسية "للوجود- هنا " الدزاين" باعتبارها خاصية ما أمتلك Jemeinigkeit فالطريقة التي يصبح الوجود من خلالها ملكاً لي، تفرض نفسها على أو تنطبع فيّ. وخاصية ما امتلك، التي هي تملك لوجودي كشيء في ملكي، تستبق التلفظ بالأنا، ولا يعتري الوجود هنا " الدزاين" أنا ، إلا لأنه وبشكل مسبق، بمثابة خاصية لما أمتلك. إذ لا أصبح أنا إلا لأنني أمتلك على الفور، وقبل كل شيء وجودي الخاص. وعلى العكس من ذلك، فإن الأنا المفهوم كأسبقية لما أملك، يعتبر ممقوتاً بالنسبة للفكر الأخلاقي. ويقر ليفيناس على عكس هيدجر، بأن الفلسفة يمكنها أن تكون أخلاقية مثلما يمكنها أن تكون أنطولوجية. [2] وذلك على اعتبار أن الأخلاق سابقة على الأنطولوجيا كما يدعي ليفيناس.

لقد أثر ليفيناس أيضا على فلاسفة مهمين لديهم تقدير كبير للتحليل النفسي مثل جاك دريدا، وبول ريكور، وجان فرانسوا ليوتارد، ولوس إيريجاراي (الذي يعمل كمحلل)، وقد حصل عمل ليفيناس على مكانة كلاسيكية لمحاولته استكشاف معنى الأخلاق من نقطة انطلاق ظاهرية.[3]

ثانيًا: النسق الأخلاقي والسياسي عند ليفيناس

1- النسق الأخلاقي عند ليفيناس:

يقوم فكر ليفيناس على التجربة الاخلاقية فالأخلاق عنده ليست قضية تأملية بل هي تجربة مباشرة لا تنتج عن برهان ولا تختزل بل تعاش " فكل إنسان يجد أن إدراك الآخر و حضوره

---

[1] المرجع السابق : نفس الصفحة

[2] المرجع السابق : نفس الصفحة

[3] PAUL MARCUS: Being for the other (Emmanuel Levinas ethical living and psychoanalysis), Marquette University Press, 2008,p.12

يستحوذه ويتملكه بصورة مباشرة وفي رأي الفيلسوف، تكمن الحقيقة المركزية للأخلاق وبالتالي للإنساني كما هو في هذا التمزق المقلق الذي يسببه العالم من خلال الحضور الجسدي للآخرين الذي يفرض وجوده بصفة مختلفة تماما عن حضور الأشياء". ومنه : فلا يمكن الالتقاء بالآخر إلا في أفق اتيقي متجاوزًا بذلك - كما أشرنا سابقا – الطرح الأنطولوجي ومؤكدًا على دور الأخلاق في علاقة الأنا بالآخر والسؤال الذي يطرح نفسه هو **أين يظهر أثر علاقة الأنا بالآخر عند ليفيناس؟ وما هي الأسس الأخلاقية لهذه العلاقة ؟**

تكمن الصعوبة في تحديد مفهوم ليفيناس للأخلاق في أن الأخلاق لم تعد تتعلق بالنفعية أوعلم الأخلاق أو الحقوق والمسؤوليات أو أشكال التفكير الأخرى.[1]

ما من نظريتين أخلاقيتين تبدوان أشد تباعدًا من المذهب الخيري البريطاني في القرن الثامن عشر وفلسفة إيمانويل ليفيناس. إلا أن فكر ليفيناس يمثل - من بين ما يمثله - عودة إلى مذهب أخلاقي قائم على الإحساس والشعور، يخرج من عباءة إيمانويل كانط ليعيد القيم الأخلاقية مرة أخرى إلى سياق الجسد الخاضع للاحتياج والبؤس والعاطفة. ويمكن أن نضيف أن ثمة مشروعًا مهمّا من هذا النوع سابقًا على هذا : محاولة ماركس اليافع أن يُحوّل أخلاق الجسد والإحساس إلى أخلاق شيوعية في كتابه " مخطوطات عام 1844" الاقتصادية والفلسفية " إن ليفيناس نفسه الذي يرى (شأنه شأن آلان باديو) [*]. أن الأخلاق تتعارض مع الطبيعة، يعارض بشدة أي نظرية طبيعية من هذا النوع، بل والنظرية الأخلاقية في حد ذاتها. فهو يرى أن مثل هذا الحديث عن الأنواع البيولوجية به صدى لا يمكن تجاهله من الفكر النازي، فالأخلاق عنده أصلها الجسد، لكنها أيضًا متسامية عنه. وهذا النوع من

---

[1] **L. Carter, M. Weinstein, L .Beneze ": A response to Annette Gough and Jesse Bazzul . subverting subjectivity an anti-neoliberal reformulation of Science education for life- university college London, p. 911**

[*] آلان باديو : ولد الفيلسوف الفرنسي آلان باديو في الرباط المغرب سنة 1937, من أهم مؤلفاته " معنى ساركوزي" والوجود والحدث والأخلاق : مقال حول مفهوم الشر , شغل كرسي الفلسفة في مدرسة الأساتذة العليا في باريس . كتب باديو عن مفاهيم الوجود والحقيقة والذات. يستخدم باديو مفاهيم محددة بشكل متكرر لشرح فلسفته, من أهدافه تأكيد أن مفاهيمه للحقيقة مفيدة لأي نوع من النقد الفلسفي ويستخدم هذه المفاهيم لدراسة الفن والتاريخ والأنطولوجيا والاكتشافات العلمية. انظر : آلان باديو : في مدح الحب , ترجمة غادة الحلواني, دار التنوير , الطبعة الأولى, القاهرة, 2014, ص128

السمو يُعرف بالبعد الشخصي.[1] وهو ما يؤكد عندنا أن الأخلاق عند ليفيناس لها باعثها الروحي الباطني وظاهرها الجسدي المعلن مما يؤكد على الأبعاد الشخصية المتكاملة.

أسس ليفيناس فلسفة أخلاقية جديدة، أعطى فيها اهتمامًا للمهمّشين والمنبوذين، واحتفى "بالغير"، الذي أقصته الميتافيزيقا الغربية واحتوته مركزياتها في قلاع الذّاتية، فالنّزوع الشديد نحو الوحدة والأحادية قد رافق التقاليد الفلسفية والميتافيزيقية الغربية منذ القِدم عبر اهتمامها بالعقل والوعي أو الذات " والأنا" وهذا ما يُشكل طرحاً أخلاقياً خطيراً نظراً لإقصاء الكثرة و« الهو» وهنا تبرز فلسفة ليفيناس الأخلاقية بجرأة وشجاعة، كردّ أخلاقي فلسفي حاسم، منزلًا " الغير" منزلة مهمة في الفكر الغربي المعاصر، معنى هذا، أنّ إتيقا ليفيناس سبيل مغاير لا يُمجّد الأحادية بقدر ما يقف ضدها (contre un) إنه تمادٍ على المركزيات بإثارته لعلاقتنا مع الآخر، باستحقاقه للدرس والفحص، بأصالته إلى جانب الذات.[2]

لا يُصنف ليفيناس كفيلسوف ضمن دائرة الممجدين للتقليد الفلسفي الغربي (أو المركزية الغربية). مُخالفاً بمذهبه الأخلاقي التيارات الفلسفية السّائدة في عصره فهو يذهب غالباً عكس تيار الميول التي سيطرت على النقاش الفكري إبان سنوات ما بعد الحرب. وفي عصر كانت فلسفة هايدغر تُحْدِث عدداً من المنافسات في فرنسا، كثّف ليفيناس نقده لفكر يعطي ما يُراهن عليه ليفيناس، هو « الأولوية لمشكلة الوجود على مشكلة الإنسان تجاوز الفلسفات الذاتية ونرجسيتها، والانتقال إلى الاعتناء بأخلاقيات التّعامل بين الأفراد والاهتمام بالاختلاف، هذا الاختراق الفلسفي عند ليفيناس تخط لمنطق التنافي والتخاصم، وتفكيك قلاع الهويات المنغلقة على ذاتها، ومدّ جسور التواصل والتي صافي بين الذوات والأمُم من أجل تحقيق مجموعة من التواصلات وإنجاز جملة من التشاركات، قصد بناء الهوية

---

[1] تيري إيجلتون: مشكلات مع الغرباء(دراسة في فلسفة الأخلاق) , ترجمة عبدالرحمن مجدي, مصطفى محمد فؤاد, مؤسسة هنداوي , الطبعة الأولى, القاهرة, 2019, ص 257

[2] محمد بكاي: أخلاقيات التعامل مع الآخر تأملات في الفلسفة الغيرية عند إيمانويل ليفيناس, مرجع سابق, ص281

الإنسية الكونية المؤهلة لتحمل مسؤولية المحافظة على الحياة الأرضية، وتحقيق وصية الاستخلاف والائتمان والتعمير.[1]

يعدّ ليفيناس الأخلاق هي فلسفة أولى، هي أخلاق للأخلاق مثلما وصفها دريدا. إنّ الإتيقا عند ليفيناس ليست من شُعَبِ الفلسفة، كما في كل كلام، تقوم : بل هي الفلسفة الأولى بكونها موجّهة أو مقدمة إلى الغير. ليست الفلسفة ممكنة إلا بنمط محاورة. ولكن كلمتها الأولى والأخيرة تكون نظراً لجميع ما يقوله الفلاسفة للأغيار (بمن فيهم أنفسهم بصفتهم مستمعين لأفكارهم) في فكر مترجم بالتأكيد، ولكنه واعٍ من رجوعه إلى الغير. إذا فكرت فيك، فإنني « أشتاق على الأقل إلى أن أقدّم لك ما بدا لي حقاً بنظرك أن يُحْدِثَ « الإتيقا هي الفلسفة الأولى والأخيرة » لا يعني ليفيناس بمقولة قطيعة مع الإطار الوجودي للفلسفة، فلم يرد إسقاط أو هدم أركان الصرح الأنطولوجي، فالإطار الأنطولوجي للفلسفة لم ينقطع. وقد استطاع ليفيناس تقديم فكرة كمراجعة أساسية لعلم الوجود التقليدي، وحتى علم الوجود الهايدجري. وأغنانا بدلًا من ذلك علم الظواهر الغيرية على اعتبار المشاكل المركزية لعلم وجود جديد. أي أنّه ينتقص تلك المباحث الأنطولوجية التي سبقته، في كونها غير قادرة على إدراك الغيرية وأبعادها الأخلاقية، وأنها تتعامل معها بعنف، فتزدريها وتصنّفها في مصاف المهمش والغريب، وتقحمها إقحاماً داخل منطق التكوين الذاتي الداخلي.[2] وهنا – وكما ترى الباحثة – أن ليفيناس لم يلزم بالمفهوم الحضاري الغربي ولا الإرث التاريخي الغربي فيما يتعلق فكانت له ميتافيزيقاه الخاصة جدًا.

ناهض ليفيناس الإرث الفلسفي الغربي في بُعده الميتافيزيقي، لذلك الذي دمج كل شيء ضمن دائرة المعرفة الموضوعية السببية، وهمش بالمقابل الذات، ووقع في الخلط بين الطبيعة والفكر والتاريخ والبنية، فاهتم ليفيناس بما أبقته هذه الميتافيزيقا خارجها من مشاكل وقضايا، وتناول المواضيع التي أسقطتها من حسابها وهمّشتها، مثل الغيرية والجسد والوجه.[3]

---

[1] المرجع السابق : ص281

[2] المرجع السابق: ص 283

[3] المرجع السابق: ص 284

وقد خاض ليفيناس في فلسفة الأخلاق برؤى جديدة تدور محاورها حول التسامح والخير والمحبة والاعتراف والاحتفاء بالغير الغريب عنا. فصاغ في كتاباته المعقدة والمميزة « الموجود هو الغير، والفلسفة هي طريق الغير إلى الله » : هدفاً عالياً جداً الغير قبل الذات، قبل الأنا، قبل التجربة، وقبل العالم، هو المشروع الأصلي، وكما يُقال هو المسلّمة المولدة في فلسفة ليفيناس وبذلك يكون قد أعاد الاعتبار والأهمية المغيبة لكثير من المواضيع ذات الصبغة الأخلاقية والبعد الإنساني مثل: الصداقة والمحبة والعطاء والتكفير عن الأخطاء والغفران وغيرها. [1]

تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية المعاصرة ليتوج بميلاد الغيرية والتي بدورها مهدت لظهور أخلاق المسؤولية عند ليفيناس هذه الأخلاق تقوم على احترام الآخر، ويعتقد ليفيناس أن الفكر الأخلاقي يفقد معنى وجوده في غياب الغير، فأنا أمارس الأخلاق من أجل الآخر، وهذا ما يدعو إلى الإقبال على الحياة، والحفاظ عليها من أجل الأنا والغير، وهذه الفلسفة جديرة بالاهتمام والتطبيق على أرض الواقع لتحقيق السلام الدائم، لذا يمكن الفصل بالقول بأن أخلاق المسؤولية هي الأخلاق التي تؤسس إلى الكونية التي يحترم فيها الإنسان بعيدا عن أيديولوجيته وعرقه، كما أن أخلاق المسؤولية تنادي بالمسؤولية اللاتماثلية وهي مسؤولية منزهة بمعنى أن الإنسان يتحمل مسؤوليته ويؤدي واجبه تجاه الآخرين دون انتظار أي مقابل منهم ودون أن ينتظر منهم أن يبادلوه الشعور ذاته فهي مسؤولية منزهة كل التنزيه عن الغايات والمنافع، وأخلاق المسؤولية هي التي تؤسس إلى أخلاق الغيرية التي تحرر الأنسان من الصراع والقتل وتحرر الإنسان أيضًا من الكراهية والحقد فهي ارتقاء بالإنسان من الأنانية الحيوانية إلى الإيثار الإنساني وهي انتقال بالإنسان من وحشيته إلى خيرته، وتبقى أخلاق المسؤولية فكرة فلسفية في انتظار أن تتحول إلى سلوك اجتماعي وسياسي واقعي. فبهذا التحول فقط يتحقق السلام الدائم وتنتهي الحروب ويسود التسامح والأخوة الكونية التي طالما بحث عنها الإنسان ليحقق السعادة.[2]

فأساس المسؤولية هي أنها ليست تماثلية ولا تناظرية بين الأنا والآخر، والأنا دائما له مسؤولية أكبر تجاه غيره وكأنها تحمل مسؤولية تجاه الإنسانية كلها، والأولى مطالبة الأنا أكثر مما نطالب به

---

[1] **المرجع السابق : ص285**

[2] **فيروز سيفي : أخلاق المسؤولية عند ليفيناس, مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية, مجلد11, العدد1,جامعة محمد بوضياف المسيلة, الجزائر, 2021, ص 508**

الآخر، فهو ليس مسئول فقط بل أيضا مسئول على المسؤولية ذاتها، التي يبديها تجاه الغير، وليس الحق للأنا التنصل منها أو جعلها مساوية للآخر:" فمسؤوليتي غير قابلة للتنازل عنها ، ولا شخص بإمكانه تعويضي "، أو حتى التهرب منها غير مسموح كما لا يسمح الإنابة عنها فلا أحد بإمكانه أن يأخذ مكان الأنا، فهنا سيشير ليفيناس إلى الفردانية التي تتمتع بها الأنا، أي التي تخص مدى مسؤوليتها وليس عزلتها، لأنّ هذه المسؤولية في نهاية المطاف تفرغ الأنا من إمبرياليتها، وأنانيتها، فوحدة الأنا معناه لا أحد يمكنه الإنابة عنها، فليس هناك انتظار لتبادل المسؤولية، فالمسؤولية، تكون كاختلاف لا كتماثل أو كوحدة ، وهي انفصال لا اتحاد، فهذه المسؤولية الحتمية أساس لفردية الأنا وأساس للتنازل عن مركزيتها لتتماهى مع الغيريات الأخرى، وبالتالي الفردية لا تشبه العزلة ، والفردية تعني أنّ الأنا لا تنتمي للكلية، أو المفهومية، فهي خارجة عن التحديدين، هذا الفردي سوف يتجه للغير بدافع المسؤولية وبدافع الطيبة والمحبة، وبدافع السلام والعدالة مع الغير، هي مسؤولية على الالتزام بالمسؤولية لصالح ذلك الفقير الذي نذهب إليه بدافع المساعدة، فعند حضور الوجه نرى كأنما الإنسانية كلها مصوبة تجاه الأنا، ويبقى الآخر الكائن الوحيد الذي يجب ألا أتركه وحيدًا ،وهذا الآخر هو أخ لكل النّاس الآخرين، وهو يطلب مساعدتنا، حتى أمام موته، فما معنى أن نكون مسؤولين أمام الموت، وتحديدا موت الغير؟ [1]

إن المسؤولية التي يهدف ليفيناس إلى عرضها هي متسامية وغريبة بنفس القدر في بنيتها [2]، المسؤولية علاقة أخلاقية تقوم بها الذات من أجل الآخر، ولا ينبغي فهم قرب الغير مني بمعنى أنّي أعرفه، أو أنه قريب مني مكانياً، أو تصلني به بل يُفهم قُرْبُ الغير، روابط قرابة أو انتماءات مشتركة الغير على أنه قريب مني بالأساس لكوني أشعر من حيث أنني موجود بأنني مسؤول عنه. إن بنية هذه العلاقة لا تشبه العلاقة القصدية التي نكوّنها في مجال المعرفة مع موضوع ما، أيا كان

---

[1] رحيم عمر : فينومينولوجيا الوجه والإيروس عند إيمانويل ليفيناس, رسالة ماجستير, إشراف ا. د/ مونيس بخضرة, جامعة أبى بكر بلقايد, الجزائر, 2016, ص72,71

[2])Fleurdeliz R. Altez -Alela : The Body and Transcendence in Emanuel levinas phenomenological Ethics, KRITIKE, Volume 5,No. 1, 2011, p.37

See Also : Emmanuel Levinas: Other Wise than being or beyond Essence, translated by Alphonso Lingis, springer science Business Media, B.V.1991, P. xii

هذا الموضوع، حتى وإن كان إنسانياً. فليس مَرَدّ القرب هو كوني أعرف الغير، لأنّ الرّابط الذي يربطني به لا يتحقق إلا كمسؤولية، سواء قبلت أو رفضت، سواء عرفنا كيف نتحمل مسؤوليتها أو لا، سواء استطعنا القيام بشيءٍ ملموسٍ تجاه الغير أو لم نستطع ذلك، إن ما يُضفي السمة الأخلاقية على الوجود الإنساني هو المسؤولية تجاه الإنسان الآخر، فالمطلوب هو التعبير عن هوية الأنا انطلاقاً من المسؤولية وهذه المسؤولية هي التي تعطي معنى ودلالة وعظمة للوجود البشري.[1]

هذه المسؤولية هي وليدة الشّعور بالرعاية والاهتمام بالآخر، هذه الرعاية الأخلاقية سينجم عنها وسط تتشارك فيه الذات والآخر بالتساوي بالتعبير عن الرغبة في العيش معاً، في حالة المتبادل بهشاشة وضعنا وأخيرا بأننا ميتون وفانون " وهكذا لا ينفك ليفيناس يدافع عن الآخر الذي تحدث عنه في تأسيسه لفلسفة الأخلاق ، وقد جاء هذا الاهتمام بالغيرية كبديل للذات والأنا التي غرقت الأنطولوجيا في فحصها ودرسها، في مقابل ذلك، يُعلي ليفيناس من القيمة الأخلاقية للمسؤولية التي تحملها الذات على عاتقها تجاه الغير. والمسؤولية بمثابة اصطفاء، فواجبي في لقائي بالآخر هو عدم التهرب أو التنصل من مسؤوليتي تجاهه، وأصبح بذلك مدينًا له. [2]

من هنا استطاع ليفيناس أن يقدم مشروعًا مختلفًا عن الطريقة التي اعتادت أن تفكر الفلسفة من خلالها، أي ألا يكون التفكير في الوجود والمعرفة هما اللذان يقودان للتفكير في المسألة الأخلاقية، وإنما الانطلاق من الأخلاق ذاتها مبدأ أول لكل فعل فلسفي. يتعلق الأمر إذن بالإتيقا باعتبارها المجال الذي يجب أن تقارب داخله مسألة الذات وعلاقته بالآخر المختلف اختلافًا لا نهائيًا . ولقد عَدّ ليفيناس هذه الإيتيقا " بمثابة فلسفة أولى " ردًا على الفلسفة الغربية التي ساهمت في اضطهاد الآخر وسلب غيريته.[3] وإن كانت كثير من الاتجاهات الوجودية حاولت أن تعالج مشكلة العلاقة بين الذات والموضوع والأنا والعالم ولكن بطريقة مختلفة عن ليفيناس – كما ترى الباحثة -

---

[1] محمد بكاي: أخلاقيات التعامل مع الآخر تأملات في الفلسفة الغيرية عند إيمانويل ليفيناس, مرجع سابق, ص291

[2] المرجع السابق: ص 292

[3] سلمى بالحاجة مبروك: إيتيقا المسؤولية تجاه الآخر عند إيمانويل ليفيناس أو الأنا حارس الآخر, مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث, المغرب , 2015م, ص 11

إن ادعاء ليفيناس الشامل هو أن العلاقة الأخلاقية مع الآخر الشخص "الآخر" هو شرط الإمكانية لكل وعي بشري.[1] يطرح ليفيناس مشروعًا لبناء المسؤولية من خلال فكرة مسؤولية الرجل الآخر وهو طموح جوهري في الذهنية الغربية التي تضع الإنسان مثل جميع الأشياء كشيء علمي يكمل الوجود والمعرفة في شموليته، ويعد عمل ليفيناس هذا من المحاولات الأكثر صرامة من أجل الإجابة عن هذا المطلب الذي تنزع إليه الإنسانية من خلال مسؤولية الرجل الآخر التي هي مسؤولية مقدسة تتبع كل علاقة بين الأنا والآخر عبر النفود الى الوجه وكدلك من خلال ما أسماه ليفيناس بالحب l'amour الذي يعبر عن فعل ملموس يشمل كل الآخرين بدون استثناء مع استبعاد الحرب والعنف وهنا تظهر إنسانية الرجل الآخر ومسؤوليته اللانهائية .[2]

إن تصور" ليفيناس" للمسؤولية نحو الآخر يمثل عبئًا يقع على عاتق الأنا ويتولد عنها الظلم والطغيان والكراهية، وربما تؤدي إلى الانتحار للتحرر من أعباء هذه المسؤولية حيث جعل ليفيناس الأنا مسؤولة عن الآخر بشكل مطلق ومسؤولة عن كل الجرائم التي يرتكبها وهذه المسؤولية غير متناظرة، كما أن تصور" **ليفيناس**" غير ممكن ومستحيل تطبيقه، لأن هناك في الواقع العديد من الآخرين الذين يعيشون معًا في العالم وليس علاقة ثنائية فحسب.[3]

وقد تميزت الأخلاق عند ليفيناس بالتلقائية التي نتجت عن لقاء الأنا بالآخر، فالأخلاق الليفيناسية حيادية أخلاقيا. إن الضابط الأخلاقي الوحيد في فلسفة ليفيناس هو لقاء الأنا مع الآخر، أي وجهًا لوجه. ينتج عن هذا اللقاء، وضع تلقائيتي وحريتي موضع تساؤل وشك، وذلك نتيجة لغرائبية الآخر أو عدم إمكان اختزاله إلى الأنا .[4]

---

[1] Emmanuel Levinas : ANDREW T. H. WILSHERE: The Rights Of the other) meta-phenomenology as A critique of Hillel Steiner's an essay on, A thesis submitted to the University of Manchester for the degree of Doctor of Philosophy in the Faculty of Humanities, 2013 ,p.18

[2] بلعز نور الدين: المسؤولية والتعالي الديني في فلسفة ليفيناس, مرجع سابق, ص 127

[3] الصفا علي الفيل : مفهوم الإتيقا في فلسفة إيمانويل ليفيناس , مجلة بحوث العلوم الاجتماعية والإنسانية, العدد 1, جامعة عين شمس, 2021, ص 260

[4] د. درقام نادية : الآخر – الأنثى في فلسفة ليفيناس, مجلة لوغوس مخبر الفينومينولوجيا وتطبيقاتها العدد 10, جامعة تلمسان, الجزائر, 2020 , ص 23

وهذا يشير إلى أنَّ تصور ليفيناس للوجه تصور مركب. فاكتشاف وجه الإنسان الآخر في فقره وتعاليه، يجعلني أعي، وفي آن واحد إمكانية القتل وعدمها، فالعلاقة بالوجه هي علاقة على الفور أخلاقية ، فالوجه ما لا نستطيع قتله، أو هو على الأقل يحمل الأمر الأخلاقي: " لا تقتل أبدًا ". فالوجه يحمل في تعالي كيانه ولا تناهيه ما يقاوم فعل القتل. فنظرة الآخر بمقاومتها القتل تشل قدرتي وتجرد إرادتي من سلاحها، حيث يصبح فعل الأمر " لا تقتل" ليس قاعدة بسيطة للسلوك، بل مبدأ الخطاب نفسه، ومبدأ الحياة الروحية، وهو الأمر الذي يفرض نفسه عندما التقي بالآخر وجها لوجه، فعندما تلتقي بوجه الآخر فإنك تتعرف عليه أو تعرفَه ذاتك، وعندها تتعاطى الوجوه الكلام " فالوجه يتكلم"، وهذا التعاطي الذي يتطلبه الكلام هو بالتحديد العمل بلا عنف.[1] وهنا نجد ليفيناس يهرب من القاعدة الممنهجة ليصل إلى قلب السلوك الأخلاقي والخطاب المباشر بين الأنا والآخر

والعنف قرين الحرب وهذه الأخيرة ممكنة دائما كما يقول ليفيناس والسلام هو غياب الحرب، فالحروب التي تحمل في طياتها الويلات و الموت والهلع والإبادة ،تتحطم فيها العلاقات البشرية و تتقطع أواصر اللقاء فيكثر الخلاف والفرقة فيضحى الأنا والآخر مشتتين "فالحرب ليست مجرد محنة أخلاقية كما يقول ليفيناس، وانما تجعل الأخلاق سخيفة، حيث يعرف السياسة كفن الفوز بالحرب، عبر الوسائل كافة كما أن السلام الحاصل بين القوى الخارجية من الحرب يرتكز على الحرب، فهو لا يعيد الهويات الضائعة إلى الموجودات المستلبة، السلام المحض لا يحصل إلا عبر الهروب من الوجود من خلال العلاقة مع الآخر ،وعبر مفهوم للذاتية يستند إلى خبرة فينومينولوجية يراها ليفيناس مبهرة يكون بإمكان الذات احتواء أكثر مما يمكنها احتواؤه: ذاتية مضيافة للآخر ". [2]

إن فهم للآخر من خلال البعد الأنطولوجي الأخلاقي مع ليفيناس الذي يهدف إلى احترام خصوصية وغيرية الآخر والاعتراف بأحقيته في الوجود ككائن أخلاقي قبل أن يكون كائن أنطولوجي. هذا ما يجعل الأنا تستشعر مسؤوليتها أمام الآخر وعليها التزام أخلاقي يفرض عليها

---

[1] غيضان السيد علي : التجلي المقدس لوجه الآخر في فلسفة ليفيناس, مرجع سابق, ص 362

[2] زهية ارفيس: الأنا والآخر في فلسفة ايمانويل ليفيناس, رسالة ماجستير, إشراف د. خشعي عبدالنور, جامعة محمد بوضياف المسيلة, الجزائر, 2019,ص 84

الاستجابة له والامتثال لأوامره." وهذا ما جعل ليفيناس يتبنى فكرة دستويفسكي[*] (1821 - 1881) التي تقول "كلنا مسؤولون أمام الكل، عن كل شيء، وعن الجميع، وأنا أكثر من الجميع مسؤولية".[1] وهو ما يكشف عنه البعد الإنساني القوي في أدب دستويفسكي - كما ترى الباحثة -

" لا يجوز أن ترتكب جريمة قتل" يقدم ليفيناس فهمًا لسبب كون القتل غير أخلاقي على سبيل المثال ،إذا رفع شخص سكينًا في محاولة لقتل شخص آخر فإن تعبير وجه الآخر ينقل الرحمة ومع ذلك يأمر ليفيناس بضرورة تجاوز مجرد تجنب إلحاق الأذى بالآخر، فالذات مسؤولة من أجل حياة الآخر والتخفيف من معاناة الآخر، فالذات مدعوة لأن تكون مضيافة للمحتاجين والأرملة واليتيم وعدم الحكم عليها أو محاولة تعريفها.[2]

وبالنسبة إلى ليفيناس، إذا كان من الممكن تأكيد الحق والمسؤولية فيما يتعلق بالموت، فإنهما حق جاري ضدي في لحظة وفاته ومسؤوليتي تجاه الغريب في حالتهما. من حق الآخر الذي يواجه الموت أن يصدر " الطلب الذي يستدعي" للرد " أنا هنا" (باطلة) و"واجبي ألا أترك الرجل الآخر يواجه الموت وحده"، إذا كان هناك أي خوف من الموت، فهو الخوف على الآخر، على موت الجار. إنه خوف ناجم عن الخوف، كما قال ليفيناس في " الأخلاق كفلسفة أولى" هو .. اغتصاب مكان شخص آخر".[3]

وتحدد المسؤولية الأخلاقية "للأنا" اتجاه الآخر، عندما يتنازل الأنا عن التمركّز الأناني حول ذاته ويسمح للآخر بالتشارك معه، بل ويصل إلى درجة التخّلي عن امتيازاته لصالح الآخر. يقول ليفيناس" فإن مسؤوليتي الحتمية والتي لا جدال فيها تجاه الآخر، هي التي تجعل مني أنا فرديا بل إنني أصبح

---

[*] ومن أشهر قصص دستويفسكي – المساكين والإنسان – الجريمة والعقاب – الأبله – الأخوة كارامازوف - الصرصار

[1] د. أمينة بن عودة : التجربة التأويلية الإنسانية بين هانس جورج غدمار وايمانويل ليفيناس, مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات, المجلد 2, العدد 8, جامعة البصرة, 2021, ص 585,584

[2] Jean Jones : leadership lessons From Levinas (revisiting responsible leadership), seton Hill University, USA, vol. 2,No. 1,2014,p. 48

[3] أيه تي . نوين . تر : ليفيناس ومناقشة حول القتل الرحيم , ترجمة: باسم كمال, مجلة أوراق فلسفية, العدد 36, جامعة الزقازيق, 2022, ص 217

أنا مسؤولًا أو أخلاقيًا، بالقدر الذي أقبل فيها أن أتنازل أو أخلع من مكاني _ أن أتخلى عن وضعيتي المركزية _ لفائدة الآخر الضعيف".[1]

ولأن الأنا لامعنى لوجوده دون الآخر، نجده يعيش في حالة من القلق على حقوق الغير وعلى حيا تهم لدرجة أنها تتساءل عن أحقية وجودها المغاير، وقد يكون وجودها هو الأفضل في مقابل وجود الآخرين فتسعى إلى طلب الصفح من الآخرين، كون أن لها كينونة خاصة بها ومتفردة. فقد يجد المرء نفسه مضطرًا إلى طلب الصفح من رفيقه لأنه أحسن منه، ولأنه يستشعر بأن تلك الأفضلية، تشعر الآخر بالإحباط أو باللاجدوى. وقد يطلب الصفح من الوالدين أو من الحبيب، لأنه أحيانا عطف الأنا وإيثارها وجدارتها، تقلق الآخر ويجعله يتساءل: لماذا لم أكن أنا كذلك ؟! لماذا لم أفعل أنا ذلك؟!.فلذلك تقول الأنا للآخر: معذرة، سامحني لأني أحسن منك، أو لأني أحببتك أو لأني سبقتك للخير ؟! أو لأني بمثابة عنصر تحدَ بالنسبة إليك، أو عامل ضاغط يرغمك على مسايرة ما لست عليه، أو ما لا تطيقه وتستطيعه. لم يكن قصدي إشعارك بذلك الذنب أو بالدونية. "فالأنا الأخلاقي هو وجود يتساءل عما إذا كان له الحق في الوجود، ويطلب من الآخر أن يسامحه على أن له كينونته الخاصة"، ليفيناس هنا يقدم طرحًا أخلاقيًا رومانسيًا لمفهوم "الذات" في تعاملها مع "الآخر" ويتجاوز تلك التأويلات التقليدية لها والتي لا علاقة لها بالتأويل اللاأنطولوجي (Meontologie) للذاتية، وهذا ما يذكره ليفيناس في مؤلفه "الوجود المغاير" الذي يتعارض في رؤيته مع منطق النزعة البنيوية حول الذات، والذي يفترض موت الذات ويتمّ وقع في البنيات المكونة لجسد النص أو الوجود عامة. إنها عودة إلى الذات، لكن بمنطق آخر أو من خلال وجود مغاير لما كانت تعرف من خلالها. حيث يستشعر الأنا مسؤوليته تجاه الآخر عندما يتجلى هذا الأخير" إن قرابة الآخر، هي أصل كل مساءلة للأنا.[2] وقد اتفق كل من سارتر و ليفيناس على أنه لا توجد إمكانية للمصادفة الذاتية، والهوية الذاتية.[3]

---

[1] د. أمينة بن عودة: ليفيناس نحو أنطولوجيا مغايرة, كلية العلوم الاجتماعية, مجلد 6, العدد 2, جامعة وهران, 2017, ص 3

[2] المرجع السابق : ص 3

[3] ROBERT BERNASCONI and DAVID WOOD: The provocation of levinas Rethinking the Other First published in 1988 by Rutledge , London p.91

إن التنصل من الأخلاق أدى إلى مجازر ووقوع أحداث عنف في حق الإنسانية، لذلك تمخضت فلسفة إيمانويل ليفيناس الأخلاقية كمحاولة منه لرد الاعتبار لإنسانية الإنسان وإعادة بعث قدسيته من جديد، ورفض كل ما يخدش الكرامة الإنسانية أو يتطاول على أي حق من حقوقه، وهذه الرؤية التي تبناها **باومان**(*) وأنهى بها مساره الفكري، وجعلته يتحول في آخر حياته إلى فيلسوف أخلاقي بالدرجة الأولى، لأن مقتضيات الحداثة السائلة تفرض العودة إلى القيم الأخلاقية لوضع حد للأنانية المفرطة والنزعة الفردية التي جعلت الذات مكتفية بنفسها.[1]

إن الدرس الأخلاقي الذي يمكن استخلاصه يتمثل في ضرورة جعل الكينونة ومستقبل الآخر مسؤولية شخصية، لهذا كان ليفيناس أكثر الفلاسفة اليهود دفاعًا عن الإنسانية الجديدة / إنسانية الإنسان الآخر (معنى الإنسان من خلال ضعفه وعري وجهه)، ودفع الميتافيزيقي إلى الإيتيقي وجعله موضوعًا، وتجاوز الأنطولوجيا التقليدية إلى أنطولوجيا إيتيقية، إن اكتشاف الآخر لا ينفصل عن النظر في أثر الكينونة وفي حقيقته ومعناه. فالأنطولوجي (الوجودي) متضمن في الإبستمولوجي (المعرفي)، وهذا ما يحتم التفكير في تأصيل معطيات جديدة في التعامل مع الآخرين، أهمها إيتيقا الإصغاء للآخر رغبة في الاقتراب من الحقيقة. تجاوز ليفيناس الذات الميتافيزيقية أو العدمية الإيتيقية الجديدة في صورة مشروع ميتافيزيقي، إلى البينذاتية الإيتيقية (*) حيث إيتيقا الغيرية

(*) باومان : عالم اجتماع ولد سنة 1935, كتب حوالي عشرين كتابًا أربعة فقط ترجمت إلى الفرنسية : التكاليف البشرية للعولمة, الحداثة والهولوكست, الحياة مفتتة, ومؤخرًا الحب السائل, هشاشة العلاقات بين البشر. وعلى الرغم من أن ما بعد الحداثة تفسر عادة كمؤسسة تفكيك معقم من دون طموح إتيقي أو سياسي, فإن باومان من دون أن يسعى لتمجيد ما بعد الحداثة ولا نقدها باختصار , بل يقترح دراستها في خصائصها المجتمعية الأكثر وضوحًا.
انظر: بيير أنطوان شاردل : أي أخلاق للزمن الحاضر: قراءة في زيغمونت باومان, ترجمة: محمد جديدي مجلة نماء, العدد7,6,مركز نماء للبحوث والدراسات, 2018, ص 456

[1] عفاف جدراوي : الأخلاق كأفق لعالم الحداثة السائلة (زيجمونت باومان قارئًا لإيمانويل ليفيناس), مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية, المجلد 7, العدد 2, جامعة باتنة 1 الحاج لخضر, 2022, ص 34

(*) البينذاتية : مصطلح يدل على ارتباط ما أو نوع من العلاقة بين الذات , وأمر مغاير لها, مع الإشارة إلى أن هذه العلاقة تتضمن نوعًا من التواصل, ولذلك يستخدم هذا المصطلح على النقيض من التجربة الفردية مؤكدًا كياننا الاجتماعي بطبيعته. والبنذاتية مصطلح يستخدم في الفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس, وعلم دراسة الإنسان . أما فلسفيًا فقد ظهرت البينذاتية كمحاولة للخروج من تبعات الوعي الذاتي الفردي الذي اتهمت به الفلسفة الديكارتية والتي أدت للسقوط في الأنا وحدية, كمصطلح فينومينولوجي يشير إلى ما يسمى مشكلة العقول الأخرى. انظر:

والاعتراف، لأنه عايش جرائم الإبادة الجماعية هو وعائلته وقد صرخ عقب مذبحة صبرا وشتيلا " قداسة الإنسان تسبق قداسة الأرض " لأنه كان يؤمن بالإنسانية الحقة كلحظة بدء للكينونة، ولهذا دافع عن إيتيقا الخير والكينونة الإنسانية".[1]

هناك اختلاف بين الأخلاق الكانطية، والإيتيقا الليفيناسية، إذ يؤسس كانط الأخلاق على العقل، ويعده مصدرًا أوليًا للأخلاق. في حين أن ليفيناس ينطلق من الآخر، الذي يقع خارج الذات، رافضًا كل ممارسة عقلية قبلية، وينتصر لطبيعة حسية، وذلك نقيضًا لكانط الذي يدافع عن العقلانية في المجال الأبستمولوجي والأخلاقي . والذي نقف معه على التجربة كتكريس لحب الذات وتعد مصدر المسلمات هي ذاتية وجزئية تناقض الأخلاق الكونية. أما عند ليفيناس فإن العقلانية هي عنوان الأنانية وليس التجربة الحسية التي تفتح الذات على اللقاء الإيتيقي، ويدافع كانط عن الواجب المحض، أما ليفيناس فإنه يفهم الإيتيقا ويؤسسها على الوجه فهي ليست نتيجة لقانون صوري ، ولا يكمن هدفها في الدفاع عن القانون أو المفهوم، وإنما هي هبة الوجه. ومن خلال المعاناة التي تتبدى في الوجه ينشأ الإحساس الإيتيقي. وفي ذلك يناقض الأخلاق الكانطية التي تستبعد أي ميل أو عاطفة يمكن أن يثيرها الآخر، وتؤثر في الفعل الأخلاقي . وكانط ينطلق هنا من الفكر الذي يجرد الفعل من كل مصدر خارجي، في حين أن ليفيناس يؤسس الإيتيقا ضد تلك الممارسة القبلية، كما إنه يرفض تلك السلطة التشريعية الكونية التي يمنحها كانط للأنـا، فالأنـا عنده ليس مختارة وإنما مسؤولة وخاضعة بشكل يعطل تلك الحرية الأنوية التي تمكن الذات من تعميم القواعد الأخلاقية.[2] وترى الباحثة هنا أن ليفيناس يشير في طبيعة الأخلاق عنده إلى المفهوم الموضوعي objective وليس الذاتي subjective

هنا كما ترى الباحثة هو تجاوز الأنا (الإيجو) إلى مرحلة الغير وهنا يبدو الاعتراف أو فلسفة الاعتراف philosophy of confession بوضوح تام .

محمد فرحة, بتول حكمت محمد : البينذاتية وأهميتها عند موريس ميرلوبونتي, مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية, المجلد39, العدد 3, جامعة تشرين, سوريا, 2017, ص ص305,304

[1] حابل نذير: ليفيناس : اللامتناهي والكينونة : من الذات الميتافيزيقية إلى البينذاتية الإيتيقية, مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية, المجلد 10, العدد1, مؤسسة كنوز الحكمة للنشر, الجزائر, 2022, ص412

[2] محمد الأمين الخرش: إيتيقا المسؤولية من الواجب إلى الوجه, مجلة أوراق فلسفية, العدد 92,91, الزقازيق, 2022, ص309, 310

يعرض لنا ليفيناس 1969 في (الكلية واللامحدود) إن كل معرفة تأتي عن طريق الآخر لتدعيم المسؤولية الأخلاقية كأطباء نفسيين فإن تعاليمنا لنكون أطباء نفسيين يجب أن تأتي من الشخص المعالج، فنحن نتعلم من مرضانا ولذا فإن المريض هو الذي يعلمنا كيف نضع أنفسنا بعيدًا عن العمل.[1]

2- النسق السياسي عند ليفيناس:

يعد ليفيناس أكثر من مجرد مفكر في مدونة سلوك أخلاقي جذابة، وإن كانت مقصورة على فئة معينة، والتي (في نظر العديد من منتقديه للتوجه الليبرالي) مستبعدة من الاعتبارات الأنطولوجية، بدلًا من ذلك، تضع المواجهة الأخلاقية وجهًا لوجه بين الذات والآخر بشكل مباشر داخل السياسة، تجادل بأن تفكيره موجه نحو السياسة، لأن المواجهة الأخلاقية ومعضلة التكيف مع التغيير المطلق للآخر تكمن في جوهرها، هذا لأن الاهتمامات الذاتية للذات يتم استبدالها كأصل للسياسة وبدلًا من ذلك وهي مشتقة من مسؤولية الذات غير القابلة للاختزال تجاه الآخر.[2]

ويؤكد ليفيناس أن دور الدولة ووظيفتها هو إنشاء نظام عدالة متبادل فإن هذا الدور لا يقلص في شيء من مسؤوليتي. نفهم من هذا أن السياسة عند ليفيناس لا تحتل المرتبة الأولى في فكره، وبالرغم من ذلك فهي تظهر بمثابة ضرورة للمحافظة على الأخوة وعلى حقوق كل واحد، وحتى السلام الذي تطمح لتحقيقه يظل سلامًا مجردًا، فهل حين يعتبر ليفيناس أن مسؤولية الدولة تجاه الآخر هي مسؤولية من درجة ثانية وأنه لا يمكن الاعتماد عليها بصفة مطلقة في مستوى تحملها لأعباء المسؤولية تجاه مواطنيها يعود لطبيعة الدولة القائمة على الحرب والعنف وعلى تقديم مصلحتها على مصلحة مواطنيها بل قد يصل الأمر بالدولة حد إقحام مواطنيها في حروب غير مشروعة، وتحارب بهم بدعوى حماية

---

[1] برنت دين, روينز : وضع أنفسنا بعيدا عن العمل : معطيات ليفيناس لعلم النفس, ترجمة : محمد أحمد فؤاد, مجلة أوراق فلسفية, العدد17, جامعة الزقازيق, 2007, ص 178

[2] Birgani Victoria Tahmasebi: Emanuel Levinas and the politics of Non-violence ,Review , Vol. 14, University of Toronto, press, Toronto, 2014, p.19

الوطن وضمان مصلحته العليا؟ فهل يمكن الحديث عندها عن نسيان السياسة للآخر ولمسؤولياتها تجاهه؟ [1]

يبدو أن حذر ليفيناس من الدولة يأتي من كون السياسة في جزء منها مرتبطة بالعنف والحرب، وهي معرضة لممارسة الطغيان حتى وإن سعت للتمويه كونها تتخذ شكلًا شرعيًا وأنها تتجنب الانحراف نحو الشمولية، يقول ليفيناس في هذا الاتجاه " السياسة متروكة لنفسها تحمل في ذاتها الاستبداد" فالعنف الذي تستعمله الدولة لمواجهة العنف قد ينتهي إلى الانحدار إلى درجة لا أخلاقية إلا في حلة خضوع السياسة للأخلاق فككل الحروب الحديثة كل حرب تحتاج إلى أسلحة تنقلب ضد من يستعملها. [2] وبعد هذا عقدنا ان ليفيناس يؤكد علي البعد الأخلاقي الغائب في السياسة.

يعد "ليفيناس" مفكرًا في تغيير الصور (Déformalisation)، بهذا يستدعي إلى إبعاد التعريف الشكلي للثورة أو قلب نظام معطى ليستبدل تعريف بمحتواه: تحدث الثورة عندما يحرر الإنسان و يخلع من الحتميات الاقتصادية. هذا ينطبق كذلك على الدولة، فدولة العدالة كونها محددة للانهائي ومسؤوليتها للآخر، تتساوي في ذلك مع دولة القانون التي تغير من صورتها التي لديها ميل إلى منع تجاوز الشكل، الذي يقبل استقبال المحتويات الأكثر تعددًا، وفي الوقت ذاته تفتح فرقا ما بين هاذين النموذجين من الدولة: بما أن دولة القانون تأتي من ليبرالية الملكية ومن ليبرالية السياسة، دولة العدالة تمر ب"أثينا" أو "بيت لحم" لتعقد صلة لا تزول مع فكرة الخير.[3]

إن نقد ليفيناس للحرية ما هو إلا «نقد للأنطولوجيا كحرية » تستبد بالآخر وتُخضعه، وتتحقق فيها «الأصالة» ضد الآخرين أو ما يسميه هايدغر «دكتاتورية الهم ». لكن ليفيناس يدافع «عن ذاتية هي ضيافة، مستغرقة في الآخر، وليس في كينونتها »، فالإتيقا «مسؤولية » تجاه الآخر، و

---

[1] سلمى بالحاجة مبروك : إيتيقا المسؤولية تجاه الآخر عند إيمانويل ليفيناس أو الأنا حارس الآخر, مرجع سابق, ص15

[2] المرجع السابق : ص 16

See also: Emmanuel levinas: Totality And Infinity, Translated by Alphonso lingis, Martinus Nijhoff Publishersm London, 1979,p. 247

[3] ميقال ابنصور: دولة العدالة والسلم عند ليفيناس , ترجمة: مالفي عبدالقادر, مجلة الحوار الثقافي, جامعة عبدالحميد بن باديس, المجلد 6, العدد 2, 2017, ص5

«مسائلة » للحرية، في الوقت ذاته. و «الخير»، وليس الخير التوتاليتاري، سابقة على «الكينونة». فليس العقل من يحدد علاقتي بالآخرين، هو الذي ضحّى بهم، وباستمرار، باسم الغاية النهائية أو باسم «تحقق الحرية في التاريخ»، لكنه «الألم واللذة والوجود الجسدي » فليس هذا ضد هيجل فقط، لكن ضد هوسرل أيضًا.[1]

إن الأنا تتجرد مع ليفيناس من تلك السلطة التي يمنحها لها من يدافع عن إيتيقا الحرية، والتي بموجبها تصبح أنا مستقلة إزاء العالم . ليس للأنا سلطة على الآخر – لأنها ليست حرة كي تمارس السلطة- بل للآخر هو الممارس الأول والأصيل للسلطة بوصفها أمرًا، ووفقًا لذلك فالآخر هو الحر الذي ليس للأنا سلطة عليه، إنه يفلت من قبضتها وتقع هي في شباكه.[2]

في مقال ليفيناس 1998 في فلسفته للعدالة الاجتماعية، حيث يقول إننا نزيد الطلب على حكومات الدول للوفاء باحتياجاتنا وبالطبع فإن الحكومات تستجيب بتوسيع نطاق أنظمة البيروقراطية التي فقط لا تزال تنتهك السلطة المحلية والأنساق غير الصورية.[3]

وتحتاج العدالة – وهذا أمر لا مناص منه – إلى " سلطة " غير سلطة الجماهير التي تقوم بين إرادات متعارضة ويمكن معارضتها منذ البداية. يجب أن توافق الإرادات الحرة لهذه الجماهير بناء على سلام مسبق لا يقتصر على عدم التعدي، بل يشمل، إذا صح التعبير، إيجابية خاصة به، حيث تعني فكرة الطيبة الترفع النابع من المحبة، وحيث لا يكون للآخر الفريد والمطلق معنى إلا من خلال المحبوب والذات.[4]

إن العدالة بدون تضامن ولا رحمة تتحول إلى نقيض للأخلاق ، ذلك لأن تحرير وتطبيق القواعد يتطلب نظامًا ، وبالضبط الدولة الأمة ، حتى لا تتحول العدالة المجردة (ولقد كانت كذلك)

---

[1] عبدالحكيم شباط : مراجعة كتاب راجعة كتاب نقد الحرية : مدخلٌ إلى فلسفة إمانويل ليفيناس لرشيد بوطيب , مجلة تبين , المجلد 8, العدد 31, 2020, ص 129

[2] محمد الأمين الخرش: إيتيقا المسؤولية من الواجب إلى الوجه, مرجع سابق, ص295

[3] برنت دين, روينز : وضع أنفسنا بعيدا عن العمل : معطيات ليفيناس لعلم النفس, ترجمة : محمد أحمد فؤاد, مرجع سابق, ص 181

[4] إيمانويل ليفيناس : هل حقوق الإنسان إمبريالية جديدة, ترجمة : نسرين ناضر, مجلة أوراق فلسفية, العدد 17, جامعة الزقازيق, 2007, ص175

إلى طريق يؤدي إلى العنف ضد أولئك " الذين لا تنطبق عليهم القاعدة ". إذا لم تخضع القاعدة المجسدة في الدولة لطابعها النسبي من طرف "الأنا" و "الأنت"، ستكون فعليًا واحدة من تجليات عنف الجماعة : فالعنف الملغي على المستوى الداخلي بتطبيق القاعدة، يكون مبرأ من الإلغاء على مستوى الخارجي، لأن تطبيق القاعدة (والدالة التي من المفروض أن تطبقها القاعدة) ما هو إلا تطابق مع النظام الشرعي، أي الدولة. في هذا الإطار سيكون من العبث الادعاء بأن الفلسفة والعلوم السياسية الألمانية (من هيجل أي إطلاقية الدولة ذات الثنائية المركزية (صديق/ عدو) " أنتجت" الظاهرة النازية. لكن يمكننا القول بأن هذه الفلسفة وهذه العلوم السياسية كانت متلائمة معًا.[1]

هناك تمييز بين الأخلاق والعدالة، إلا أنهما يتداخلان، هناك تمييز لأن الأخلاق باديء ذي بدء هي في حاجة للآخر الملموس، في حين أن العدالة لا تطبق خارج إطارها . لكن بينهما تداخل، لأن كل واحد في حاجة للآخر كحدود.[2]

ولكن لا يمكن جعل العلاقة بين الذات والآخر مؤسسة على قانون الأخلاق النظرية، ونتيجة لذلك ليست الأخلاق وفقاً لمصطلحات ليفيناس ناتجة من الهيمنة والسيطرة على الآخر وإنما بالأحرى هي ناشئة نتيجة علاقة اجتماعية بين الذات والآخر بوصفه الشكل النهائي للعلاقة الأخلاقية ويمكن وصف الأخلاق الليفانسية بأنها حركة تجاه الآخر، بدلًا من العودة إلى الذات كما كانت عليها الفلسفة التقليدية، وهذه الحركة تصبح أساساً للعدالة الاجتماعية وهذه العدالة لن تتحقق إلا بتحمل الذات مسؤوليتها الكاملة عن الآخر كما يوضحها ليفيناس فنظراً لأن الآخر ينظر لي، فأنا مسؤول عنه، حتى من دون أن أتخذ في هذا الصدد مسؤوليتي عنه بعد، فمسؤوليته تقع على عاتقي... بمعنى أني مسؤول عنه مسؤولية كاملة.[3] فالمسؤولية هي جوهر الإتيقا عند ليفيناس .

إن المعيار الذي يجب أن يلهم ويوجه النظام الأخلاقي باستمرار هو معيار التفاعل الإنساني المستمد من الإيتيقا . وإذا ما تخلى النظام السياسي – الأخلاقي عن أساسه القيمي، فإن عليه أن يقبل

---

[1] روبيرتو طوسكانو: الحروب والعنف المدني والإتيقا: الدبلوماسية في ضوء قول ليفيناس, مجلة أوراق فلسفية, العدد17 جامعة الزقازيق, 2007, ص53

[2] المرجع السابق: نفس الصفحة

[3] Emmanuel Levinas: Ethics and Infinity, translated by Richard A. cohen , Duquesne University press, Pittsburgh, 1982, p.97

كل أشكال المجتمع، بما فيها الفاشستية والكليانية، لأنه لن يتمكن أبدًا من تقييمها أو التمييز بينها. إن الدولة تفضل عادة على الفوضى لكن ليس دائمًا، وفي بعض الحالات كما هو الشأن مثلًا في الفاشستية أوالكليانية، فإن من الممكن أن يكون النظام السياسي للدولة عرضة للتحدي بفعل معيار مسؤوليتنا الأخلاقية تجاه الآخر. ولذلك وجب أن تظل الفلسفة الأخلاقية هي الفلسفة الأولى.[1]

يقيم ليفيناس تعارضًا بين السياسة (الاسم الآخر للأنطولوجيا) والدين : فالسياسة تنزع نحو الاعتراف المتبادل ونحو المساواة، لتحقق بذلك السعادة . والقانون السياسي هو صراع من أجل نيل الاعتراف . أما الدين، فهو رغبة وليس صراعًا هو الفائض الممكن في مجتمع يقوم بين متساويين.[2] وهنا ينشأ التعارض بين السياسة والدين بين المحبة والصراع بين العيش على حساب الآخر والعيش من أجل الآخر بين المساواة المزعومة والمساواة الحقيقية .

ثالثًا: تحديد العلاقة بين البشر في ضوء العقيدة الدينية

وكما ربط ليفيناس من قبل دلالة الوجه بالبعد الديني كذلك ربط المسؤولية بالدين فيقول : " إن مسؤوليتي تجاه الآخر تتحدد عندما لا أحصل على الآخر في طريق رؤيتي الله ولكن أحصل على الله باستماعي للآخر" انطلاقاً من هذا يعيد ليفيناس التفكير في المفاهيم الدينية فتغير عنده مفهوم التضحية، "فليس التضحية التي قدمت لنا لتخفيف آثامنا، ولكن بوصفها قدرة ومسؤولية"[3]ويشرح ليفيناس هذه التضحية بأننا يجب أن نضحي بمصالحنا من أجل الآخرين، فعلينا إخراج الخبز من أفواهنا، لتغذيه جوعهم، وعلينا الصيام من أجلهم، لذا ارتبط مفهوم التضحية عند ليفيناس بالرحمة،[4] فالرحمة هي الاستجابة الأخلاقية للآخر. ومن هنا فالعلاقة بالآخر كما يراها ليفيناس هي علاقة تعتمد على العاطفة

---

[1] إيمانويل ليفيناس: مدخل إلى فلسفة إيمانويل ليفيناس من الفينومنولوجيا على الايتيقا: القسم الأول : من الفينومينولوجيا إلى الإيتيقا : حوار مع إيمانويل ليفيناس, مجلة أوراق فلسفية, العدد 17, جامعة الزقازيق, 2007, ص 24

[2] د. جلال بدلة : الإيطيقا كفلسفة أولى (مدخل إلى فلسفة إيمانويل ليفيناس), مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية, سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية, المجلد 39, العدد 4, 2017,ص 861

[3] صابرين زغلول: تناظر الهوية والدين (مسعى لاستقراء تأويلية إيمانويل ليفيناس) , مجلة الاستغراب , المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية , بيروت , العدد العاشر, السنة الرابعة,2018, ص 240

[4] Emmanuel Levinas : Ethics and Infinity, Opcit , p. 104

والرحمة وهي تختلف عن فهم سارتر العلاقة الإنسانية بالآخرين التي وصفها بأنها جحيم، إذ يرى سارتر أنه نظراً لأن الآخر يحد دائمًا من حرية الأنا واستقلاليتها، فإن الآخر هو الجحيم للأنا . كما أنه يصف الأنا وعلاقتها بالآخر بأنها علاقة نزاع، والفرق واضح في اختلاف فلسفة ليفيناس اختلافٌ كبيرٌ عما نصادفه عادة في تاريخ الفلسفة الأخلاقية الغربية، فبدلاً من التمركز حول الذات والمبادئ والقيم الأخلاقية، تأتي فلسفة ليفيناس الأخلاقية بتأكيدها على التشكيك في حق الذات وحريتها من جانب الآخر في علاقة غير متناظرة من خلال وجه الآخر الذي يدعوني إلى التجاوز عن الشمولية والكلية التي تختزل الآخر وتحصره داخل حدود الأنا، ولذلك يُلزم ليفيناس الديانات وبالأحرى اليهودية والمسيحية التي يوليها اهتماماً خاصاً بأن عليها مهمة الشهادة على مسؤوليتنا الأخلاقية نحو الآخرين، مؤكداً أن مقاطع من الكتاب المقدس بشقيه العهد القديم والعهد الجديد تدافع عن فكرته بأن الالتزام الديني هو الاهتمام الأخلاقي بالآخرين، فقد جاء في العهد القديم في سفر إرميا "من يقضي قضاء الفقير والمسكين يكون في هذا معرفة الرب" .[1]

وقد أدى الدين دوراً أساسياً في التاريخ الفكري والسياسي للحداثة العلمانية الغربية، وقد خالف ليفيناس المنظور السائد للدين بتقديمه تصوراً يستند إلى الأخلاق الاجتماعية التي ترتكز على السمو الديني، مسترشداً بالميتافيزيقيا الأخلاقية، فقد رفض ليفيناس التفكير الضيق في المفهوم الأيديولوجي للدين الذي يدعمه الأصوليون المتدينون ويعارضه دعاة الإنسانية من العلمانيين. وهو يبين كيف أن الدين، من خلال الانفصال والارتباط بين القداسة والأخلاق، مطلوب منه أن يؤدي دوراً إيجابياً في ظل الحرية والتعددية والديمقراطية، ولذلك رفض المصطلح التقليدي للدين الذي يقتصر على أن الدين هو العلاقة بين الإنسان والله فقط من خلال الشعور الغامض في محاولات الإنسان الحصول على نوع من الاتصال أو التواصل مع الله، فيرى ليفيناس أن الدين " لا يتصف بالعلاقة لأننا عادة ما نفكر في العلاقة على أنها تشكل نوعاً من كل شيء، عن طريق الربط أو التعادل بين شرطي العلاقة.[2]

ولذلك فالعلاقة بين الوجود والمتعال من منظور ليفيناس لا ينتج منها في أي مجتمع أي مفهوم كلي، فهي علاقة من دون علاقة، نحن نحتفظ بمصطلح الدين ومن هذه الصيغة يفصل ليفيناس بين المصطلحين العلاقة، والدين، ولذلك يسعى ليفيناس من خلال اللغة لتفسير مصطلح العلاقة مع الحذر

---

[1] صابرين زغلول: تناظر الهوية والدين (مسعى لاستقراء تأويلية إيمانويل ليفيناس) , مرجع سابق , ص 240

[2] Emmanuel Levinas: Totality and Infinity, Opcit, p. 79

الشديد في ربط الدين بمفهوم التجاوز والتعالي فهو يريد بطريقة أو بأخرى إدراج الدين داخل نطاق الوجود الفعلي والنشاط البشري الذي من شأنه أن يحول المجهول إلى نطاق المعرفة، ولذلك أصبح الدين فيما يرى ليفيناس " ليس علاقة مع المتعال ولكنه هو العلاقة التي تنشأ بين الأنا والآخر والتي لا يمكن أن تندرج داخل الكلانية"[1] التي من شأنها أن تبتلع الآخر، ومن هنا يصبح الدين بهذا المعنى هو فئة من النشاط، وليس علاقة بالمتعال كما يحاول ليفيناس التوضيح لهذا، ومن هذا المنطلق جاءت مفاهيم ليفيناس المتعلقة بالإتيقا والدين والهوية تهبط بمفهوم اللانهائي داخل نطاق النشاط البشري في الوجود ولذلك يؤكد ليفيناس أنه لا معنى للدين الذي يرتكز فقط علي العقائد التجريدية والطقوس المفرطة، لأن هذا يتجاهل القلق والحب تجاه الآخرين، وهذا النوع من الدين يحول اهتمام الذات بعيداً عن الآخر ومن هنا ينتقد ليفيناس العقائد والطقوس التي من شأنها أن تصرف اهتمامنا عن الرعاية والمسؤولية التي ينبغي أن توجهها الذات للآخر، ولذلك يؤكد ليفيناس أنه "من دون الأخلاق ، يصبح الدين خطاباً فارغاً وطقوساً لا معني لها.[2]

ومن هنا فالأخلاق هي جوهر الدين في فلسفة ليفيناس، لذا جاءت فلسفته الأخلاقية لتعمل على فتح أبعاد دينية بعيدة عن الأبعاد الدينية التقليدية السائدة في عصره، فقد أكد بُعد الدين عن التفكير المختلط المغرض، ذلك أن الدين بمجرد أن يصبح مختلطاً بالتفكير المغرض، يصبح علمانياً ويفقد سلطته المتعالية، ومن هنا أكد ليفيناس أن أي شكل من أشكال الدين إن لم يكن قائماً على علاقة أخلاقية بين البشر يمثل شكلاً من أشكال الدين البدائي فيقول: كل ما لا يمكن اختزاله إلى علاقة بين البشر لا يمثل الشكل الأعلى للدين وإنما نعده شكلاً بدائياً للدين وإلى الأبد[3]، ولا يوضح لنا ليفيناس ما هذا الشكل البدائي من الدين الذي يعنيه بالضبط، ولكن أرى أنه كل دين لا يسمح بتضحية من الذات من أجل الآخر بصرف النظر من هو الآخر ولذلك فهو يعارض أي أصولية دينية تقمع الحرية والمسؤولية تجاه الأخرين التي من شأنها أن تولد العنف.

ولذلك فالدين الحقيقي هو القائم على العنصر الأخلاقي، ولا يستثني أي دين، من ذلك، وقد أطلق ليفيناس صيحته الأخلاق تسبق العقيدة ، وهذا عكس ما ذهب إليه بعض الفلاسفة بأنه لا أخلاق من

---

[1] ibid: p. 198

[2] صابرين زغلول : تناظر الهوية والدين (مسعى لاستقراء تأويلية إيمانويل ليفيناس), مرجع سابق, ص 242

[3] Emmanuel Levinas: Totality and Infinity, Opcit, p. 79

دون دين ولا دين من دون أخلاق، وعلى ذلك فقد نادى ليفيناس بأننا" يجب أن نحترم ونحتضن ونعترف بالآخرين كزملاء مؤمنين ومشاركين على الطريق نحو الله، وفي نهاية الأمر لا يوجد دين حقيقي يخلو من المبادئ الأخلاقية".[1]

وجوهر الدين عند ليفيناس " ليس الحماسة العاطفية والاتصال المباشر مع الله, ولكنه استجابة الوعي والعقل، بالمسؤولية تجاه الآخرين" وعلى ذلك نستطيع القول إن ما يسعى إليه ليفيناس هو الدين المؤسس على الأخلاق وليس دين العبادات وهو هنا يتماثل مع كانط الذي استبدل مفهوم الدين الخلقي المحض بوصفه هو الأصلح لدين عام للإنسانية بذلك المفهوم : دين العبادات الذي ربما يتبع في أغلبه أوامر لا تخص الإنسان بل تخص شأن الله.[2]

ينبثق إذن مطلب التعالي الديني وفكرة المسؤولية انطلاقًا من الآخر الذي يؤسس له نظرية ويَعدُه مثل قرين الأنا alter ego ويعني الذات الآخروية في علاقتها المختلفة والمتميزة وغير المختزلة التي تشير طبعا إلى الآخر المطلق فهو ليس فقط قرين الأنا بل إنه أنا الذي لست أنا وهذا الآخر اللانهائي الذي يهرب مني وحيث سماته الغيرية الراديكالية تفيض بدون انقطاع بمعنى أنانية شمولية حيث الأنا يغمر كل شيء وحيث الفرد يحترم في سماته كآخر وفي أصالته غير القابلة للانـقسام وهكذا تظهر معانٍ للعلاقة ما بين الذاتية personality و الشمولية totalitarianism .[3]

أما عن قداسة الوجه أو الظهور المقدس له، فقد جعل ليفيناس من الوجه قداسة أكثر من المقدس ذاته، وجعل تجلى الإله مرهونًا بالوجه الإنساني، َفعبر الوجه فقط يمكن للإله أن يتجلى، والبرهنة على وجود الإله يمكن أن تتجسد أخلاقيًا عبر تلك العلاقة التي تتم بين الأنا والآخر، والتي ترى فيها الأنا أنها مسئولة عن حماية الآخر والاعتناء به وتحمل المسئولية كاملة تجاهه، وكأن الإله ينزل من تعاليه وتجريده ليتحدث إلينا عبر الآخر. فوجود الله والبرهنة عليه عند ليفيناس يتم في مجال الأخلاق، وليس في مجال الميتافيزيقا، أو في إطار الدين اليهودي أو حتى فلسفة الدين، ومن ثمّ يصبح الدين الحق عند ليفيناس هو ما نفكر فيه انطلاقًا من إلزام أخلاقي وكأنه أمر إلهي، وهذا الأمر الإلهي يتجلى

---

[1] صابرين زغلول: تناظر الهوية والدين (مسعى لاستقراء تأويلية إيمانويل ليفيناس) , مرجع سابق, ص 242و243

[2] المرجع السابق : ص 243

[3] بلعز نور الدين : المسؤولية والتعالي الديني في فلسفة ليفيناس, مرجع سابق , ص 120

عبر وجه الإنسان الآخر، وهكذا تصبح الأخلاق شاهدة على الإله، ويصبح الدين عند ليفيناس كما عند سلفه كانط "معرفة وإدراك كل الواجبات الأخلاقية كما لو كانت أوامر إلهية" أو عند خلفه جون هيك J. Hick [*] أخلاق أشعلتها المشاعر.[1]

أي أنه بالرغم من دروب التخلق وحب الغير التي ترسمها الديانة التلمودية، فإن ليفيناس لا يجعلها مرجعًا للأخلاق، لأنَّ الأخلاق التي ينشدها ليفيناس تستند على تجربة وجه الغير لا على تجربة المقدس. والدين الخالص يتجسد أخلاقيا بدءًا من العلاقة مع الآخر، أي يبدأ مع الوجه، وبالتالي يلغي النظرة الميتافيزيقية والمجردة التي يمكن أن نكونها عن علاقتنا بالدين. ومن خلال هذا التحليل لرؤى ليفيناس حول "تجلي الوجه" نجد أنَّ هناك علاقة وثيقة بين مفهومي " الوجه" و" اللامتناهي"، فإذا كان اللامتناهي أو الإله يتعالى إلى حد الغياب، فإنَّ حضوره وسماعه ممكن جدًا في وجه الآخر، وأمره هو بمثابة الأنا من أجل الآخر، وهي المهمة التي تجسد عظمته بالأوامر التي يدلي بها، حيث إنَّ ليفيناس يرى أنَّ كلمة الإله تتحدث عبر الوجه، تلك الكلمة التي تدعو إلى استبدالها من طبيعتها التأملية المجردة إلى طبيعة أخلاقية تحنو على الآخر وتترفق به، وبتعويض مسألة الوجود بمسألة الإنسان، حتى وإن كان من غير الممكن البرهنة على وجود الإله بالمقولات العقلية، فإننا يمكننا التوجه إليه كآخر مطلق عبر الإنساني.[2]

فلا يمكن- إذن- التوجه إلى الإله حسب ليفيناس بعيدًا عما هو أخلاقي أو بعيدًا عن التعامل مع الآخر والمسئولية الأخلاقية عنه، حيث لا يمكن التوجه نحو الإله إلا إذا كنت معنيًا أخلاقيًا بالشخص الآخر ولأجله، فالتفكير في اللامتناهي يكون من خلال الآخر، من خلال وجهه، حيث إنَّ السبيل الوحيد للأخلاق الليفيناسية هو التطلع إلى اللامتناهي، الذي لا يختزل في أي مقولة أنطولوجية أو ما ورائية، لأنه ببساطة وجه. ولكن لا يعني ذلك أن ليفيناس يرى أن الله هو الآخر، بل إنه فقط يسمع

---

[*] جون هيك : ولد في 20 يناير 1922 وتوفي 9 فبراير 2012, أحد أهم الشخصيات اللاهوتية والفلسفية التي تصدت لمسالة التعددية الدينية , في مسعى منه لفهمها وتفسيرها حيث تمازجت تجربة هيك الفكرية مع تجربته الشخصية فلم تكن التعددية الدينية بالنسبة إليه موضوع بحث علمي أو لاهوتي فقط , قدم جون هيك رؤى شبه متكاملة حول التعددية الدينية. انظـر: وجيه قانصو : جون هيك التعددية الدينية, مجلة التفاهم , وزارة الأوقاف , سلطنة عمان, ص 81

[1] غيضان السيد علي : التجلي المقدس لوجه الآخر في فلسفة ليفيناس, مرجع سابق, ص 366

[2] المرجع السابق : ص 366و367

كلام الله في وجه الآخر، ومن ثم تبدأ علاقتي بالإله من خلال علاقتي بالآخر الذي يتجلى من خلال إلزام أخلاقي مطلوب لذاته. وهذا ما يقصده ليفيناس بقداسة الوجه. وهكذا يكون مدخل ليفيناس هو مدخل أخلاقي خالص، حيث أثبت قداسة الوجه بعيدا عن أي مدخل أنطولوجي يعتمد على القول العقلي أو الخبرة الواقعية، وهو الأمر الذي سيتضح أكثر في معالجة المحور الخامس من هذا البحث (فكرة الله كآخر). وكيف سينظر ليفيناس إلى الله بعيدا عن أية تحليلات للوجود أو أية مقولات فلسفية أنطولوجية.[1]

ونظرًا لأن التوجه الديني عند ليفيناس يؤدي دورًا حاسمًا في ادعاءاته الأخلاقية، وخاصة ادعاءاته المتعلقة بالموت، فسوف يسأل عما إذا كان موقفه من القتل الرحيم هو مجرد جزء من المعارضة الواسعة للقتل الرحيم الموجودة بين الأخلاقيين الدينيين، إنه خارج نطاق هذه المقالة لفحص الموقف اللاهوتي القياسي يكفي أن نقول إن هذا الموقف يتفق مع الفهم اللاهوتي للوجود كخلق لكيان إلهي وخاضع للأوامر الإلهية. على هذا النحو، يختلف الموقف اللاهوتي القياسي عن موقف ليفيناس فيما يتعلق بكلا جانبي العلاقة بين الإنسان والإله . من ناحية الإنسان، فإن أخلاق ليفيناس ، ومن ثم موقفه الأخلاقي فيما يتعلق بالقتل الرحيم، لا يرتكز على الوجود أو جوهره، بل في تجاوز الوجود جوهره، على الجانب الإلهي أيضا، هناك قطيعة واضحة مع الفهم اللاهوتي القياسي للإله . في الأخير، يفرض فهمنا للألوهية ما يجب أن نقوله عن القتل الرحيم والقضايا الأخلاقية الأخرى.[2]

ما يشغل ليفيناس تحديدا هو استثمار ثقافته الدينية في تأكيد تعالي الغير على الأنا وأولويته الإيتيقية، أولوية وأسبقية لا يمكنها أن تأتي إلى الوجود الإنساني ما لم يكن هناك سبب خارج عن طبيعتها يدعوها إلى ذلك. ولكنها أولوية وإن كانت ذات طابع روحي فإن لفيناس لم يتمكن من بلورتها إلا باعتماده على الفنومنولوجيا أي على الفهم والمنهج والإطار. وكل هذا خوّل له تحديث الدين بل وإخضاعه إلى معايير يمكن القول أنها فلسفية فنومنولوجية صرفة. والواقع أن لفيناس يرى في هذا الوعي الإيتيقي نداًء سمع بكل تأكيد داخل أنظمة دينية أخرى غير النظام اليهودي المسيحي، ولعله

---

[1] **المرجع السابق : ص369**

[2] **أيه تي . نوين . تر : ليفيناس ومناقشة حول القتل الرحيم , ترجمة: باسم كمال, مرجع سابق, ص 223**

يقصد بذلك نظام الدين الإسلامي. والذي يعنينا هنا بدرجة أولى هو أولًا النظر في شكل هذا التحديث أو الحداثة الدينية، وثانيها البحث في مدى تعميمها على ديننا نحن وشروط ذلك.[1]

يدعو ليفيناس من خلال البعد الأخلاقي والديني في فلسفته إلى ضرورة ألا ينظر إلى أي دين آخر بوصفه عدواً أو تهديداً للوجود، وهذا من شأنه أن يُهدئ أي مخاوف أو قلق تجاه الآخرين. ومن هنا ينادي ليفيناس بضرورة "اعتبار كل دين وجهاً آخر، لأن أتباعه هم أشخاص" ويقصد بأننا لابد من التعامل مع أهل الديانات الأخرى على أنهم أشخاص مثلنا لا فرق بين ديننا ودينهم لأن التعامل ليس على أساس الدين ولكن التعامل يتم على أساس الوجه، يقول ليفيناس " الوجه ... يفتح وجهات نظر أخرى" فالنظر للدين بهذا الشكل من شأنه أن ينهي الميل للأصولية والبعد عن التعصب والعنف ومن خلال هذه الطريقة لفهم الدين يعزز موقفنا نحو الانفتاح والتعاطف نحو الآخرين، مما يساعد الشخص على رؤية الاحتمالات والبدائل ليس فقط في دين الآخرين ولكن أيضا في رؤيته كافة الأمور، ولذلك يؤكد ليفيناس الحوارَ والانفتاح على الديانات الأخرى، بحيث يفهم المرء عمق العالم الثقافي الذي يوجد فيه الآخر، وهوما يجعله يرى من منظور أوسع لماذا يتصرف الشخص الآخر بشكل مختلف عن نفسه. ومن خلال ذلك، سيتعلم احترام الآخر، بل ويساعد على تعزيز حرية الآخر وكرامته ولذلك تتخذ الفلسفة على يد ليفيناس بعداً آخر من خلال فلسفة الحوار حيث لم يعد الاهتمام منحصراً في السؤال ولكنها اكتسبت أهميتها في المدة الأخيرة من خلال الحوار، لذلك يقول ليفيناس عن الفلسفة إن " جزءًا عاجلًا من مهمتها في عصرنا هو توضيح الطبيعة الحقيقية للحوار، وليس في السؤال".[2] وهو – كما ترى الباحثة – دعوة للتفتح على الآخر المختلف عنا دينيًا مما يجعلنا نتساءل ألا يلزم هذا منا استحضار البعد الحضاري المتسامح مع الآخر بل وقبول الآخر؟!

رابعًا: المواقف النقدية من ليفيناس وكتاباته :

نجد في العربية بعض المواقف النقدية من ليفيناس وكتاباته، ويتخذ هذا النقد شكلاً فلسفياً أو أيديولوجيًا، الأول نجده لدى مصطفي فرحات في دراسته" صروف الكينونة بين ليفيناس وهيدجر

---

[1] مصطفى الضاوي : التحديد الفينومنولوجي لمفهوم الدين في تفكير لفيناس, مجلة أوراق فلسفية, العدد 54, جامعة الزقازيق, 2017, ص 189

[2] على قصير : إيمانويل ليفيناس فيلسوف الغيرية البناءة, مرجع سابق, ص 296,295

والثاني نجده لدى عبد الوهاب المسيرى في موسوعته اليهود واليهودية والصهيونية، ونبدأ بالثاني الذي يعتبر ليفيناس ضمن من يطلق عليهم" الفلاسفة غير الفلسفيين"، وهم من يرفضون الميتافيزيقا بمعناها التقليدي ويثيرون الأسئلة التي يتصورون أن الفلسفة الغربية التقليدية استبعدتها .فهو كما يخبرنا ينتمي إلى الفلسفات ما بعد النيتشوية التي تسعي إلى تجاوز التوجه، إما إلى الذات أو الموضوع، وإن كانت محاولته الفلسفية تحتفظ بقدر من التماسك والصلابة من خلال تأكيده على مفهوم الآخر .وهو فيلسوف يهودي بالمعني الديني يصعب تفسيره إلا داخل إطار حلولي كموني ". فالميتافيزيقا عنده تتبع من تأمل وجه الآخر اللانهائي الذي يتحدى الكل، أي أن البشري يقوم مقام الإلهي في هذه المنظومة ورغم تأكيد ليفيناس في فلسفته عن الآخر، إلا أن الآخر عنده نوعان كما يذكر المسيرى آخر يقبل وآخر يرفض، فقد يعفو اليهود عن بعض الألمان وهناك ألمان من الصعب العفو عنهم، مثل هيدجر بقبوله العمل رئيساً للجامعة في عهد النازي ولم يقر بذنبه. [1]

يؤكد المسيري على يهودية ليفيناس الذي"عرف مهمته الفلسفية بأنها تعريف العصر الحديث، بالتلمود وأن هذا أيضاً جوهر الصهيونية، فهي الدولة التي تضطلع بهذه المهمة بشكل متعين . إن اليهودية أيديولوجيا تترادف مع الإنسانية، لا تعنى إنسانية روحية عامة وإنما هي إنسانية محددة تأخذ شكل أمة .واليهودية ليست أيديولوجيا مثالية تعيش من دون خطر، وإنما هي مثالية تأخذ شكل دولة تجسد القيم الأخلاقية للأنبياء، فهي قدر ومسؤولية الشعب اليهودي المختار الذي يتبدى في الدولة الصهيونية، التي تستند إلى الرغبة في البقاء والبدء من جديد من بعد أن يسقط كل شيء .[2]

أما الثاني فهو لا يرى مصطفي فرحات في دراسته صروف" الكينونة "بين ليفيناس وهيدجر حرب الإتيقا ضد الأنطولوجيا، فهو لا يرى أي مبررات حقيقية للقول بوجود اختلافات جدية لها تطبيقات فكرية فلسفية خطيرة بين ليفيناس وهيدجر، فيما يخص كيفية حذق فقه الكينونة وما يتعين أن يترتب عن ذلك من نتائج تطال طبيعة العلاقة بالإيتقيا والأنطولوجيا تحديداً!

إن ليفيناس عنده، حينما يتولى نحت وصياغة أطروحاته الرئيسية، إنما هو يتغذى، من نقد أساسيات المشروع الهيدجري لا كما هي ثمرة شرعية لتوالد نتائج معينة من مقدمات محددة، وذلك عبر أكثر من نصف قرن من التأمل ...وإنما من خلال "إنجازه "أقل ما يمكن أن يقال فيها أنها

---

[1] أحمد عبدالحليم عطية : إيمانويل ليفيناس وفينومينولوجيا, مرجع سابق, ص 201

[2] المرجع سابق : ص 201

"خيالية "لهيدجر" وهى وهم "لم يوجد قط وجوداً فلسفياً متقوماً وميتافيزيقا اللانهاية كاسم علم للعلاقة بالآخر بما هو وجه visage وبما هو قريب، ضد" كلية أنطولوجية "محسوبة على هيدجر وهى في الحقيقة، لم توجد قط، وإن هي وجدت فإنه لا يمكن أن يكون قد أوجدها سوى النقد___ الليفيناسي تحديداً، ولن يسنح ذلك إلا انطلاقاً من عملية تحريف نسقية لفكر هيدجر اقحمته قصراً وتعسفاً داخل دائرة الانـغلاق الأنطولوجي التي تشمل كلية تاريخ الفلسفة الغربية بالنسبة إلى ليفيناس.[1] وهو هنا يكشف لنا حقيقة موقف ليفيناس من التاريخ الفلسفي الغربي بل والحضارة الأوربية برمتها كما ترى الباحثة.

وهو يرى ضرورة السعي إلى تفسير هذه الاستماتة الليفيناسية في إقامة المشروع الإيتيقي بكليته تقريباً على أساس من النقد النسقي والجذري للتجربة الفكرية لهيدجر، إلى حد إعطاء انطباع، بوجود سابقية إضمار وترصد استهدافهاً لاقتفاء آثار هذه التجربة أثراً أثراً . يلخصها على النحو الآتي:

أولاً: إنكار مبدئي لأولوية وأولوية" الأنطولوجيا الأساسية "الهيدجرية" وهي مشكلة لها أبعادها الفلسفية وهي" الكينونة والزمان"، وذلك بالتشكيك في شرعية" أساسيتها "إعداداً لمشروع نسخ أولوية العلاقة بالكينونة بأولوية العلاقة بالآخر الإنساني كشرط لكل "ميتافيزيقا أخلاق "ممكنة من منظور ليفيناس.

ثانياً : إستراتيجية حقيقية ومتكاملة أعدها ليفيناس لمعارضة ما يسميه هيدجر أو بلغة فرحات" وجوداويات existentiaux المكين أو الموجد أو الكائن الهنائي (الدازين) من حيث إنها هي المحددات الأنطولوجية والمكونات الماهوية و المقومات البنوية للدايزاين . معارضة هذه الوجوديات إذ بدأ بالتركيبة اللغوية الألمانية لمفرده دا - زاين Da-sein ، وذلك بتفكيك الدا أو الهنائية الموقعية الطوبولوجية التي للكائن.

---

[1]) المرجع سابق : ص 201, 202

ثالثاً: الترسيخ الليفيناسي المتعدد والواعى بذاته لظاهرة نسيان الكينونة ونسيان نسيانها وتحويل هذا النسيان المضاعف إلى قصدية إيتيقية أساسية قد تشكل لوحدها جوهر المشروع الأخلاقي برمته، بما أن ليفيناس قد جعل من مثل هذه القصدية شرط إمكان التعافي الأخلاقي المخلص للإنسانية ككل.

رابعاً: القرار الذي قد يتضح أنه الأخطر والأكثر اعتباطية ومجانية غير قابلة للفهم من فيلسوفا للإيتيقا والمتمثل في الاستماتة في حبس وحصر كل التجربة الفكرية لهيدجر عند حدود فترة" الأنطولوجيا الأساسية "لكتاب الكينونة والزمان أساساً، اعتبارًا تحكميًا لمحورية هذا المصنف الفلسفي وعبقريته الفذه. (1)

خامساً: منطقيًا ينتج عن ذلك تجاهل ليفيناس الاضطراري والكلي للتطبيقات الأساسية لمنهجية" الهدم الفينومينولوجي لتاريخ الأنطولوجيا "بماهي رافد رئيسي ل" تحليليه الدازاين "أو" التحليلية الوجودية " analytique existentiale ضمن كتاب " الكينونة والزمان "الذي لم ير منه النور كمشروع سوى ما يمثل الثلث، عما كان متوقعاً أن ينجز منه .

استتبع تجاهل فاعلية" الهدم الفينومينولوجي "لتراكم تكلسات تاريخ الميتافيزيقا متجلية عري بنيتها الأنطولوجية، تجاهلًا أعم وأكثر نسقية لبقية فعاليات الفكر الأساسية .ويعني بذلك فعاليات فكر ما قبل أو ما بعد ميتافيزيقي أفلح في تخطي الميتافيزيقا بتركها لمصيرها، بعد النهاية الاكتمالية للفلسفة. (2)

وهنا يرى فرحات ضرورة الإقرار بأن كيفية تعامل ليفيناس مع فكر هيدجر كانت منذ نشأت العلاقة المباشرة بينهما1601، سنة حضور ليفيناس دروس هوسرل حول فكرة "السيكولوجيا الفينومينولوجيا" وفي شتاء 1600، الدروس حول" تقويم التذاوات la constitution de l'intersubjectivite، وحضور دروس هيدجر نفسه، بالإضافة إلى شهود نقاش ديفوس الشهير بين هيدجر وأرنست كاسيرر(والذي يعترف ليفيناس بأنه كان فيه شخصياً متعاطفاً مع موقف هيدجر ضد كاسيرر. كانت كيفية التعامل هذه ملتبسة ومبهمة جوهرياً : إذ أنه، على خلفية إعجاب لا حد له امتد إلى أواخر عمر ليفيناس، إعجاب انصب على نمط المساءلة الهيدجرية، ونمط استنباط السؤال

---

(1) **المرجع سابق : ص 202**

(2) **المرجع سابق : ص 203,202**

الأنطولوجي من جديد وضمن أفق لم يعهد بالمرة هو أفق الزمان، مجدداً جذرياً وشمولياً صيغة ومحتوى الاستفهام عن الكينونة، مذكياً بذلك ما يشبه "صراع العمالقة "في شأنها، تركيزاً أساسياً تأسيسياً على نبرة الفعلية الحدوثية فيما، من خلال" كينونة وزمان"، فإن ليفيناس مع ذلك، سرعان مابدأ يبلور احترازاته المبتدئية، حيال القول بمحورية وأولوية "سؤال الكينونة seinsfrage " بما هو كذلك . ويتجلى ذلك بداية من المحاضرة التي ألقاها ليفيناس بالسوربون سنة 1049بطلب من جان فال jaean vall والتي كانت بعنوان " الأنطولوجيا في الزمني "حيث، تفطن ليفيناس مبكراً جداً، بخلاف كل قارئي هيدجر فترتد إلى أن الإشكال الرئيس لكتاب" كينونة وزمان "إنما هو أنطولوجي من ألفه إلى يائه، وليس من قبيل استهداف التأسيس لأنثروبولوجيا فلسفية ذات منحي وجداني انفعالي مناهض للعقلانية الكانطية الجديدة السائدة في هذا الوقت. [1]

والسؤال المطروح هو : كيف يمكن أن ينتج سوء فهم بهذا الحجم عن حسن وحذق فهم بهذه العبقرية؟ يقدم لنا فرحات بعض عناصر الإجابة الممكنة . ويرى أنه بداية من هذا السياق في تشخيص" العلو "عند هيدجر، إعلانًا عن نشأة إشكال" الاختلاف الأنطولوجي "الشهير بين الكينونة والكائن، يبدأ الاحتراز الليفيناسي على التوجه الهيدجري وذلك في صيغة رفض تجاوز الكائني.

إن كتابات ليفيناس كلها تأليف تشتمل، إمَا بكيفية صريحة أو بكيفية ضمنية، سجالاً ضد الفكر الهيدجري حول هذه الفكرة أو تلك، هذا المفهوم أو ذلك من الأفكار والمفاهيم الأساسية لصاحب "الكينونة والزمان . " كما إن اختيار عنوان " من الوجود إلى الموجود"، يمكن أن يكون مثالاً بليغاً بما فيه الكفاية، في استهدافه إنشاء إستراتيجية متكاملة نسبياً لنسف شرعية القول بالاختلاف الأنطولوجي بين الكينونة والكائن، والذي يوجد في أصل وأساس مشروع " الهدم الفينومينولوجي لتاريخ الأنطولوجيا. [2]

إن ليفيناس، بتركيز على وجوب القطع مع الكلية الأنطولوجية لصالح التعالق الإيتيقي الديني الميتافيزيقي باللانهاية - فيما أوضح فرحات - إنما هو يمارس شكلًا من أشكال الهدم الإيتيقي لتاريخ الأنطولوجيا، والاقتصاص الأخلاقي من تاريخ هيمنة الكينونة .أن هذا الهدم الإيتيقي الليفيناسي إنما

---

[1] المرجع سابق : ص 203

[2] المرجع سابق : ص 203

يقف على طرفي نقيض من مشروع الهدم الفينومينولوجى الهيدجري – والذي هو في واقع الأمر جهر وتسريح لذلك التاريخ حتى تسترجع المنبع التلقائي لتاريخ الكينونة وحرية انبعاثها الزمنية . ويرى الناقد الهيدجري أن التهافت الأصلي .والأساسي لكل مشروع إيتيقي يقوم على العداء الكلي واللامحدود لكل تعالق بالوجود بما هو كذلك لخطر الوقوع في "عدمية " لا مفكرة تتمظهر بمظهر "طوباوية الإنساني " لتغطية خوائها الأنطولوجي وممارسة" سوء التفاهم " المقصود فيما يخص تأويل هيدجر للوجود، في شكل ما أسميناه بالهوس النكراني denegation الليفيناسي وتعمد" نقده " كل تاريخ الأنطولوجيا وليس منظور هيدجر فقط في هذا الشأن. إن ثمة الخاصية الأنطولوجية للميتافيزيقا عند هيدجر، تنطبق على تميز عصر معين .إن العصر لا يعني فضاء للزمان . ولكنه طريقة معينة لأجل ظهور الوجود، وبناء على استخدام هذه الطريقة ينقسم الزمان، ويجرى التاريخ .[1]

خامسًا: حل المشكلة من منظور ليفيناس :

سوف نعرض لهذا الحل بل والحلول كلها من خلال النتائج التي توصلنا إليها ونقد آراء ليفيناس والحلول المطروحة عنده وما نراه نحن بصدد هذه الإشكالية .

سادسًا : نتائج البحث

بعد أن استعرضنا النقاط الأساسية في هذا البحث، نتوصل الآن إلى النتائج المستخلصة من هذا البحث وهي بلا شك تحمل من الرؤية الذاتية والنقدية الكثير:

1) عن ليفيناس

أ) هو وجودي فينومينولوجي حدسي من الطراز الأول وهذا الجمع بين الفينومينولوجيا والحدسية بل وأيضًا الوجودية تجعله قريبًا من المفكر الوجودي الملحد جان بول سارتر صاحب الوجودية مذهب إنساني وصاحب الروايات المشهورة مثل : الذباب – المومس الفاضلة- الغثيان وصاحب المؤلف العظيم الوجود والعدم إذن كان لسارتر الأثر الفعال على ليفيناس من زوايا متعددة.

---

[1] المرجع سابق : ص 204

ب) ليفيناس شخصيته يمكن القول عنها أنها شخصية تاريخية Historical character تعشق التاريخ مطلعة على الحضارات الماضية يعيش في الحاضر ويستلهم المستقبل في كل تنبؤاته.

ج) كان ليفيناس الدور الأكبر في نقض الحضارة الغربية رغم انتمائه إليها مما يدل على امتلاك قدرات خاصة في النقد هذا أولًا, ثم ثانيًا محاولة إبراز النقد الموضوعي لحضارة هو نفسه ينتمي إليها.

د) إذا كان النقد الأيديولوجي قائمًا على أبعاد متعددة منها ما هو أخلاقي وما هو سياسي، إذن فالنقد هنا هو بمثابة إسهامه في وجود البديل للقضايا النقدية وفي طرحها وهي المتعلقة بأزمة العلاقة بين السياسي والأخلاقي في ضوء المفهوم الحضاري.

هـ) اهتم ليفيناس بالميتافيزيقا وعلاقتها بالأدب الروسي وهنا نجد استعراض لتاريخ الأدب، بل وحضارة الأدب التي تنبع من التطور التاريخي، في جعل ليفيناس ذات مدركة لطبيعة التطور الحضاري في تدرجاته وصعوده.

و) أراد ليفيناس إيجاد العلاقة بين التجربة الحية Live experience وبعدها الزماني والتاريخي وبين التجارب السياسية والأخلاقية مما جعله قادرًا على حل المشكلات المتعددة.

وهنا لابد لنا التنويه على أن ليفيناس كان أسير حرب وكان هذا يحميه من المحرقة، حيث قضى بقية الحرب العالمية الثانية أسير حرب في معسكر بالقرب من هانوفر في ألمانيا وكانت حياته في المخيم صعبة للغاية .

ألا يدل ذلك على معاناة ليفيناس من النظام النازي الذي قضى على الجزء الأكبر من عائلته بعد الحرب، فظهرت السياسة لديه بوجهها القبيح المدمر لكافة القيم الإنسانية والأخلاقية.

1) <u>الأنا والآخر عند ليفيناس في إطارها الأخلاقي</u>

أ- إذا كان ليفيناس هو الكاشف والمكتشف لظاهرية الأخلاق فهل استطاع تبريرها كنقطة انطلاق لفلسفة الأخلاق

(الأنا والآخر) أو فلسفة المواجهة.

ب- أما في النسق الأخلاقي ethical system والفعلي عند ليفيناس سنجده يجعل من التجربة الأخلاقية المباشرة هي مناط التكليف وروح الحرية وهي لا تخضع للبرهان، لأنها مباشرة بل ومن مسلمات الوجود الإنساني.

إن ليفيناس شخصية تسير عكس التيار الغربي السائد لتعلن بحرية صاخبة أنا لست متكلمًا فينتقل بنا من فلسفة الذاتية المشخصة المعقدة إلى فلسفة الآخر والغيرية البسيطة.

إنها تطرح – عندنا- السؤال العملي للأخلاق وهو كيف يكون التعامل مع الآخر هو قلب الأخلاق وكينونتها؟

ج - في نظرنا أن القول السابق يقربنا من المفهوم الأخلاقي الكانطي في فلسفة الواجب philosophy of duty وهو افعل كما لو كان فعلك قانون عام لكل البشر.

وبين ظاهرية الأنا وظاهرية الآخر تبدو فلسفة الوجه عند ليفيناس ، ولكنها – عندنا – هي ظاهرية تكشف عن ظهور الروح على صفحة الماء أو المرآة لأنها فعالة .

د- لقد طرح ليفيناس أبوابًا قديمة وحديثة ومعاصرة في الأخلاق مثل التسامح- الخير– الاعتراف – الحب- الاهتمام الزائد بالغير وكل ذلك بأسلوب فلسفي مقنع للغاية وخاصة فيما يتعلق بفلسفته عن الآخر ذات البعد الأخلاقي والأنطولوجي والإنساني، بحيث أضاف إلى الأنا بعدًا آخر يعمق من وجودها فأصبحت الذات والموضوع في تلاحم شديد.

هـ - كان للميتافيزيقا (الإله) دورٌ كبيرٌ في صياغة أخلاقية خاصة بليفيناس مكرسًا للدور الإيجابي للدين فالدين هو الحرية والتعددية والديمقراطية فلا يمكن أن يكون من ضمن وظائف الدين إلغاء حرية الإنسان أو إشباع رغباته الشخصية بكل مستوياتها في إطار من التدين الشكلي.

مؤكدًا أن ذلك – كما نرى – على أن الدين سلوك ويحمل علاقة فعلية بالآخرين تقوم على أساس كل ما هو إيجابي كالرحمة والعدل والتواصل والتسامح.

و- ليفيناس ومسئولية العقل في الأخلاق، حيث يرفض ليفيناس دخول العقل والعقلانية في مشروعه الأخلاقي ويقال أنه بذلك يختلف عن كانط الذي يؤسس الأخلاقية على العقل عن كانط الذي يؤسس الأخلاقية على العقل – كما يرى البعض .

وهذا الزعم مردود عليه – كما ترى الباحثة – لأن العقل الذي يدعو الإنسان إلى الأنانية والطمع وحب الذات هو نفسه العقل الذي يدعو إلى حب الغير ويصدر السعادة للآخرين من خلال التسامح والعطاء.

إن ما يمكن قوله في هذه الحالة هو أن عقل ليفيناس يختلف عن عقل كانط، في أن ليفيناس ينشد العقل المرتبط بالحدس intuition والضمير conscience فتكون النتيجة – كما نرى- لا عنف العقل بل تسامحه ورجوعه إلى القلب والإحساس وهنا تلغى المسافة space بين العقل والإحساس وهي مسألة issue في غاية الأهمية.

ز- ولذلك – نرى- إذا كان سارتر يرى الجحيم هو الآخر فإن ليفيناس يرى الجنة هي الآخر فالأول يرى الآخر هو النار المحرقة والثاني يرى الآخر هو الماء البارد فكلاهما على طرفي نقيض .

ح – أما فيما يتعلق بالمسئولية responsibility عند ليفيناس فهي ذات فلسفة خاصة لها بعدها السيكولوجي الذي له قيمته في ترسيخ الوجود العيني المشخص وفي مسألة الاعتماد على الذات الذي يصل بنا إلى مسألة الطمأنينة الداخلية والرضا النفسي بل هو أيضًا الطموح ambition لبلوغ أقصى ما في النفس من قوة – كما ترى الباحثة-

أما من الزاوية التاريخية فقد أراد ليفيناس تعظيم المخلوق البشري عن طريق أخلاق المسئولية، ومن المسلم به أن عظمة الموجود البشري تأتي من خلال حضارته وتاريخه وتقدمه، الذي لا بد أن تكون له بصمته على الأخلاق...

ط - إن دعوة ليفيناس إلى الأخلاق الإنسانية هي دعوة إلى التركيز من جديد على جوهر الإنسان وخاصة في تحققه الأخلاقethical realization على اعتبار أن الإنسان يتميز بالقداسة Holiness ولكن بمعناه الإنساني – كما ترى الباحثة. وهنا نطرح سؤلًا هل يمكن اعتبار ليفيناس ذا نزعة سقراطية ترد الوجود الحقيقي للإنسان وتجعل من الفضيلة علم والرذيلة جهل؟

ليفيناس – الأخلاق- السياسة- الحرب

- يرى ليفيناس أن لا أخلاق في السياسة ومن قال أن الحرب الغرض منها أخلاقي؟ بل العكس الغرض منها طمس الأخلاق لأن السياسة بوجه عام هي الحصول على الانتصار والفوز على الآخر أيًا كانت البواعث فالغاية تبرر الوسيلة كما قال ميكافيللي.
- أما بالنسبة لحل أزمة العلاقة بين السياسي والأخلاقي تأتي عند ليفيناس – كما نرى – من التأكيد على البعد الحضاري والتاريخي المتفتح الذي يجعل الإنسان مخلوقًا قادرًا على تجاوز الأزمات والتطاحنات بين السياسي والأخلاقي – وهذا فقط- إذا استخدم وعيه الحضاري وثقافته الشمولية والتعددية فإن لابد أن يجعل من السياسة بعدًا حقيقيًا لتحقيق الأمن والسعادة والسلام، وذلك فيما يتعلق بالبعد العقلاني للحضارة إلى جانب البعد النفسي والحدسي لها.

فليس للحضارة بعدٌ ماديُ فقط، بل وبعد روحي أيضًا، فليست الحضارة هي المنجزات العلمية والتسليحية فقط. بل وأيضًا في كم الأخلاق والفن الذي أنتجته حضارة ما.

2) المواقف النقدية تجاه ليفيناس هل هي مبررة فلسفيًا؟

- الحقيقة نعم – كما ترى الباحثة لأن ليفيناس فيلسوف له أبعاده الخاصة وفلسفته المناوئة ومن يرفضها للواقع، وكذلك فهناك من يقبلها ومن يرفضها بمبرراته الخاصة ولكن في نظرنا – النقد الإيجابي والسلبي الموجه إلى ليفيناس مقبولًا ويؤكد لنا قيمة هذه الشخصية المحورية لبحثنا فهو مثار جدل دائم.
- لا يمكن لأي فكرة جديدة كفكرة الوجه أن تمر علينا دون نقد وفحص وتبقى فلسفته – عندنا- ذات طابع تماسكي ومضموني ما يجعلها صائبة وحقيقية إلى حد كبير.
- كما يمكننا القول أن ليفيناس ألح في كتاباته وخاصة في الأخلاق والسياسة والتاريخ والحضارة إلى بعث الطابع الطوباوي مع الاحتفاظ الشديد بمحاولة تطبيقه على أرض الواقع من خلال الأمثلة المتعددة التي قدمها لنا.
- وكان الدليل على قوة النقد العقلي عنده هو انتقاده للتفصيلات الهيدجرية في الميتافيزيقا كفلسفة للحضور، لأن هيدجر يتأرجح بين نهاية ميتافيزيقا الحضور وفي نفس الوقت يستمر في التفكير في الحضور.

3) ليفيناس بين المزايا والعيوب

أ- من ضمن مواطن القوة عند ليفيناس – كما ترى الباحثة- هو الاهتمام بالقضية الأم في الفلسفة وهي الأخلاق وعلى رأسها العدالة الاجتماعية Social Justice والتعددية الثقافية Plurality Cultural كما ترى الباحثة.

ب- والجديد عند ليفيناس هو اعتبار الأخلاق هي الفلسفة الأولى أو الميتافيزيقا ... فهل هو يضع الأخلاق محل الدين والميتافيزيقا ويبتعد عن كون الدين هو صانع للأخلاق في إطار الأخلاق ذات الطبيعة الدينية؟

ج – وتتساءل الباحثة ما هذا التماسك الشديد والصلب بين الأنا والآخر والذي كانت له نتائجه الفعالة على الأخلاق والسياسة والدين والتاريخ الحضاري كله؟

لابد أنها القاعدة المعرفية عند ليفيناس وصلب المذهب الليفيناسي فعلى المستوى الإنساني والأخلاقي هي دعوة للمحبة بين البشر والبعد عن الأنانية وعلى المستوى السياسي هي دعوة دائمة لسلام دائم.

د- أما بالنسبة للعيوب فإن قوانين الأخلاق عند ليفيناس هي في الحقيقة سراب وفضاء خالي، لأنها – في نظرنا – تمحي فردانية الوجود الإنساني فالإنسان مخلوق أرضي وكائن اجتماعي يعيش في مجتمع وصانع للقوانين الأخلاقية – فإذا كانت القوانين الأخلاقية عند ليفيناس غير معمول بها – كما يقول هو – فكيف يمكن معاقبة من يقوم بأفعال لا أخلاقية لا يضر نفسه فقط بل أن يضر المجموع العام أيضًا؟ والسؤال الآخر الذي نوجهه إلى ليفيناس وهو ما هو مفهوم الأخلاق المحايدة في الأخلاق؟ ثم كيف يعتبر ليفيناس أن الاحترام خارج السياق والإنسان نفسه داخل السياق المكاني والزماني؟

هـ - في اللحظات التي تهاجم فيها ليفيناس قول هيدجر في الزمان والوجود والتناهي واللاتناهي فهو نفسه – أي ليفيناس لم يستطع أن يتجاوز هذه المفارقات الهيدجرية ولم يستطع تبريرها.

ولكن ما يمكن قوله في النهاية وما هو يصب في صالح ليفيناس في المجال السياسي أن ليفيناس كان دعوة مستمرة للسلام الدائم en during Peace والسلام ليس مفهومًا حضاريًا أيضًا – كما ترى الباحثة – ولذلك نرى أنه كلما بلغ الإنسان مبلغًا كبيرًا من التحضر كلما نزع أكثر إلى السلام والأمان بين البشر وابتعد عن الأزمات والحروب والقتل.

ومن هذا المنطلق ترى الباحثة أن أخلاق ليفيناس هي أخلاق تحضرية, إنها وببساطة شديدة تنقل الإنسان من البدائية والتوحش إلى الحضارة المدنية بأسلوبها الراقي الذي يحمي الإنسان من ذاته وتوحشه وميوله إلى السيطرة فيتحول الإنسان من الأنا المريضة بذاتها إلى حب الغير والتضحية من أجله, إنها الدعوة إلى التحضر بكافة وجوهه وأعمق معانيه وهي دعوة أيضًا إلى الانتقال من الطبيعة الحيوانية اللاعاقلة إلى الطبيعة الإنسانية العاقلة والخلوقة؟

قائمة المصادر والمراجع

أولًا) المصادر الأجنبية

1. Emmanuel levinas: **Totality And Infinity**, Translated by Alphonso lingis, Martinus Nijhoff Publishersm, London, 1979.
2. Emmanuel Levinas**: Ethics and Infinity,** translated by Richard A. cohen , Duquesne University press, Pittsburgh, 1982.
3. Emmanuel Levinas: **Other Wise than being or beyond** ،**Essence** translated by Alphonso Lingis، springer science Business Media، .B.V.1991.

ثانيًا) المصادر العربية:

1. إيمانويل ليفيناس**: الزمان والآخر،** ترجمة: د. جلال بدلة، معابر للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ، دمشق، 2014.
2. _____: **مدخل إلى فلسفة إيمانويل ليفيناس من الفينومنولوجيا على الايتيقا: القسم الأول : من الفينومينولوجيا إلى الإيتيقا : حوار مع إيمانويل ليفيناس،** مجلة أوراق فلسفية، العدد 17، جامعة الزقازيق، 2007.
3. _____ : **هل حقوق الإنسان إمبريالية جديدة،** ترجمة : نسرين ناضر ، مجلة أوراق فلسفية، العدد 17، جامعة الزقازيق، 2007.

ثالثًا) المراجع الأجنبية :

1. Birgani Victoria Tahmasebi**: Emanuel Levinas and the politics of Non- violence**، University of Toronto، Vol. 14،Review ، Toronto،press 2014.،

2. Claire Katz with Lara Trout: **EMMANUEL LEVINAS critical Assesments of leading philosophers**، volume 1، Routiedge ، London،TAYLOR & Francis Group 2005.،

3. Fleurdeliz R. Altez -Alela : **The Body and Transcendence in Emanuel levinas phenomenological Ethics**، KRITIKE، Volume ، No. 1،5 2011.،

4. Jean Jones **: leadership lessons From Levinas (revisiting responsible leadership)**، USA، seton Hill University، vol. 2، No. ، 1 .2014،

5. L .Beneze ": **A response to Annette Gough and Jesse Bazzul . subverting subjectivity an anti-neoliberal reformulation of Science education for life**، M. Weinstein،L. Carter university college London.

6. PAUL MARCUS: **Being for the other (Emmanuel Levinas ethical living and psychoanalysis)**، Marquette University Press،2008

7. ROBERT BERNASCONI and DAVID WOOD**: THE PROVOCATION OF LEVINAS Rethinking** the Other First . London ،published in 1988 by Rutledge

8. Routledge Taylor& Francis ،Sean Hand: **EMMANUEL LEVENAS**، london،Group 2009.،

رابعًا: المراجع المترجمة إلى العربية

1. آلان باديو : **في مدح الحب**، ترجمة غادة الحلواني، دار التنوير، الطبعة الأولى، القاهرة، 2014.
2. تيري إيجلتون: **مشكلات مع الغرباء (دراسة في فلسفة الأخلاق)** ، ترجمة عبدالرحمن مجدي، مصطفى محمد فؤاد، مؤسسة هنداوي، الطبعة الأولى، القاهرة، 2019.
3. جان فرانسيس دفريني : **فلسفات عصرنا (تياراتها ومذاهبها)**، ترجمة: إبراهيم الصحراوي، دار العربية للعلوم، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 2009.
4. موريس بلانشو : **كتابة الفاجعة**، ترجمة : عز الدين الشنتوف، دار توبقال للنشر، ط1، المغرب، 2018.

رابعًا: الدوريات والمجلات

1. أحمد عبدالحليم عطية : **إيمانويل ليفيناس وفينومينولوجيا**، مجلة كرسي اليونسكو للفلسفة، العدد 33، 2012.
2. أمينة بن عودة : **التجربة التأويلية الإنسانية بين هانس جورج غدمار وايمانويل ليفيناس**، مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، المجلد 2، العدد 8، جامعة البصرة، 2021.
3. أمينة بن عودة : **ليفيناس نحو أنطولوجيا مغايرة**، كلية العلوم الاجتماعية، مجلد6، العدد2، جامعة وهران، 2017.
4. أيه تي . نوين . تر : **ليفيناس ومناقشة حول القتل الرحيم** ، ترجمة: باسم كمال، مجلة أوراق فلسفية، العدد36، جامعة الزقازيق، 2022.
5. برنت دين، روينز : **وضع أنفسنا بعيدا عن العمل : معطيات ليفيناس لعلم النفس**، ترجمة : محمد أحمد فؤاد، مجلة أوراق فلسفية، العدد17، جامعة الزقازيق، 2007.
6. بلعز نور الدين: **المسؤولية والتعالي الديني في فلسفة ليفيناس**، مجلة النقد الثقافي، العدد الثاني ، أكتوبر ، 2014 .
7. بيير أنطوان شاردل : **أي أخلاق للزمن الحاضر: قراءة في زيغمونت باومان**، ترجمة: محمد جديدي مجلة نماء، العدد6،7، مركز نماء للبحوث والدراسات، 2018

8. جلال بدلة : **الإيطيقا كفلسفة أولى (مدخل إلى فلسفة إيمانويل ليفيناس)**، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد39، العدد4، 2017.

9. جيلاني حلوز: **إيمانويل ليفيناس: الايتيقا فلسفة أولى**، مجلة لوغوس مخبر الفينومينولوجيا وتطبيقاتها العدد 10، جامعة تلمسان، الجزائر، 2020 .

10. حابل نذير: ليفيناس : **اللامتناهي والكينونة : من الذات الميتافيزيقية إلى البينذاتية الإيتيقية**، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، المجلد10، العدد1، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر، الجزائر، 2022.

11. درقام نادية : **الآخر – الأنثى في فلسفة ليفيناس**، مجلة لوغوس مخبر الفينومينولوجيا وتطبيقاتها العدد 10، جامعة تلمسان، الجزائر، 2020 .

12. روبيرتو طوسكانو: **الحروب والعنف المدني والإتيقا: الدبلوماسية في ضوء قول ليفيناس**، مجلة أوراق فلسفية، العدد17 جامعة الزقازيق، 2007.

13. سلمى بالحاجة مبروك: **إيتيقا المسؤولية تجاه الآخر عند إيمانويل ليفيناس أو الأنا حارس الآخر**، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، المغرب، 2015م.

14. صابرين زغلول: **تناظر الهوية والدين (مسعى لاستقراء تأويلية إيمانويل ليفيناس)**، مجلة الاستغراب، المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية، بيروت، العدد العاشر، السنة الرابعة، 2018.

15. الصفا على الفيل : **مفهوم الإتيقا في فلسفة إيمانويل ليفيناس**، مجلة بحوث العلوم الاجتماعية والانسانية، العدد 1، جامعة عين شمس، 2021.

16. عبدالحكيم شباط : **مراجعة كتاب راجعة كتاب نقد الحرية : مدخلٌ إلى فلسفة إمانويل ليفيناس لرشيد بوطيب**، مجلة تبين، المجلد 8، العدد31، 2020.

17. عفاف جدراوي : **الأخلاق كأفق لعالم الحداثة السائلة (زيجمونت باومان قارئًا لإيمانويل ليفيناس)**، مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد7، العدد2، جامعة باتنة1 الحاج لخضر، 2022.

18. على قصير : **إيمانويل ليفيناس فيلسوف الغيرية البناءة**، مجلة الاستغراب، المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية، بيروت، العدد العاشر، السنة الرابعة، 2018.

19. غيضان السيد علي : **التجلي المقدس لوجه الآخر في فلسفة ليفيناس**، مجلة الآداب والعلوم الانسانية، المجلد87، العدد1، مصر، 2018.

20. فيروز سيفي : **أخلاق المسؤولية عند ليفيناس**, مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية, مجلد11, العدد1,جامعة محمد بوضياف المسيلة, الجزائر, 2021.

21. محمد الأمين الخرش**: إيتيقا المسؤولية من الواجب إلى الوجه**، مجلة أوراق فلسفية، العدد91،92، الزقازيق، 2022.

22. محمد بكاي : **أخلاقيات التعامل مع الآخر تأملات في الفلسفة الغيرية عند إيمانويل ليفيناس**, مجلة تفاهم

23. محمد فرحة، بتول حكمت محمد : **البينذاتية وأهميتها عند موريس ميرلوبونتي**, مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية, المجلد39, العدد 3, جامعة تشرين, سوريا, 2017.

24. مصطفى الضاوي : **التحديد الفينومنولوجي لمفهوم الدين في تفكير لفيناس** , مجلة أوراق فلسفية, العدد 54, جامعة الزقازيق, 2017.

25. ميقال ابنصور: **دولة العدالة والسلم عند ليفيناس**, ترجمة: مالفي عبدالقادر, مجلة الحوار الثقافي, جامعة عبدالحميد بن باديس, المجلد6, العدد2, 2017.

26. وجيه قانصو : **جون هيك التعددية الدينية**, مجلة التفاهم, وزارة الأوقاف, سلطنة عمان.

خامسًا: الموسوعات

1. عبدالرحمن بدوي : **موسوعة الفلسفة (ج2)**، المؤسسة العربية للنشر، ط1، بيروت، 1984.
2. عبدالوهاب الكيالي : **موسوعة السياسة. (المجلد الأول، الثاني)**، المؤسسة العربية، بيروت.

سادسًا: الرسائل العلمية

أ) الرسائل باللغة العربية

1. حساين دواجي غالي : **الهرمينوطيقا وإتيقا التخاطب**، رسالة دكتوراه، إشراف: أ.د/ يومدين بوزيد، جامعة وهران، الجزائر، 2012.

2. رحيم عمر **: فينومينولوجيا الوجه والإيروس عند إيمانويل ليفيناس**، رسالة ماجستير، اشراف ا. د/ مونيس بخضرة، جامعة أبى بكر بلقايد، الجزائر، 2016 .

3. زهية ارفيس: **الأنا والآخر في فلسفة ايمانويل ليفيناس**، رسالة ماجستير، اشراف د. خشعي عبدالنور، جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر، 2019.

4. ليندة علي شريف، وهيبة حاكمي: **مفهوم الغيرية في الفكر الغربي إيمانويل ليفيناس – نموذجا-**، رسالة ماجستير، إشراف د. حاجة بن ناصر، جامعة ابن خلدون تيارت، الجزائر، 2022.

ب) <u>الرسائل باللغة الأجنبية</u>

1. Anna Harriet Block Strhan: **Bringing Me More Than I contain: levinas، Ethical Subjectivity and the infinite Demands of Education**، Thesis submitted for the degree of phD، Institute of Education، University of London.

2. Jonban،t.p : **Emmanuel levinas early critique of Heidegger**، Thesis submitted for the degree of Masters، Institute of Education، University College London،2005

3. Thomas f. Newman :**A Study OF aiterity and influence in the literary and philosophical neighbourhood of Jean Gent and Emanuel levinas**، A thesis submitted for the degree of Doctor of philosophy University College London، 2008

4. Andrew T. H. Wilshere : **The Rights Of the other : Emmanuel Levinas، meta- phenomenology as a critique of hillel Steiner's an essay on rights**، A thesis submitted to the University of Manchester for the degree of Doctor of Philosophy in the Faculty of Humanities، 2013 .

Prepared By

Seham Rasly AbdElbaset

Teacher Of Philosophy of history and Civilization

Faculty Of Arts – South valley university

Levinas and the crisis of relationship between politics and ethics; the problem and its solution in the light of the civilizational concept

Abstract :

The Communicative philosophy of Levinas is the philosophy that able to establish its political vision and its relationship with the ethical and ideological one; it is the philosophy of dialogue with others.

There is no doubt that there is Dialectical issue between politics and ethics, and this is what is detected and highlighted herein from the standpoint of openness, that is, the political openness to ethical field in the light of a Levinasian civilizational vision includes tolerance, knowledge, dialectic, and ethics together.

There is no doubt that Levinas came up with several ideas that emphasize his point of view, especially after he had supported it with examples and forms.

This research is based on many points that include Levinas' life and the influences on his thought-his moral and political ideas- setting the relationship between humans in the light of the religious belief- solving the problem from Levinas' perspective.

The researcher concluded to several significant and fruitful results in the area of this study, including, for example, results about Levinas himself; he is an intuitive, existential, phenomenologist, and a historic figure who loves history, and has interests in all areas of life- ego and its relationship with other within its ethical frame- Levinas between ethics, politics, and war- Levinas between advantages, disadvantages and other consequences.

Key Words: philosophy of duty, ethical system, conscience, plurality cultural, ethical and ideological .